بطاركة السريان

في القرن العشرين

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܗܘܐ ܡܫܬܟܚ ܐܝܟ ܚܛܘܦܐ
ܘܥܒܪܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܘܡܠܟܐ ܘܡܚܪܐ ܕܢܗܘܐ ܢܦܠ ܐܘ
ܠܟܠ ܠܗ ܡܚܪܐ ܢܠܐ ܢܫܩܘ ܢܗܘܐ ܠܗ ܡܚܪܐ ܟܠ
ܚܘ̈ܒܘܗܝ ܥܕܡܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

بطاركة السريان
في القرن العشرين

ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܣܘܪܝܝܐ ܒܕܪܐ ܕܥܣܪܝܢ

تـأليف

المطران افرام برصوم

بيروت ٢٠٠١

ܐܒܗ̈ܬܐ ܡܫ̈ܝܚܐ

ܪ̈ܥܝܐ ܕ̈ܒܝܬ ܡܫܝܚܐ ܘܦܪܘܩܢܐ ܒܗ ܒܥܝܐ
ܡܫܝܚܐ ܗܘ ܐܩܝܡܘܗܝ ܘܠܐ ܡܫܬܟܚ ܡܢܗ ܒܝܫܐ
ܝܗܒ ܫܘܠܛܢܐ ܕܢ̈ܛܠܢ ܘܡܢܝܢܐ ܪ̈ܥܝܐ ܠܝܒܘܬܗ
ܘܡܢ ܦܘܡܗ ܩ̈ܠܢ ܢܦܩܬܐ ܡܫܡܫ ܐܢܘܢ ܕܢܚܘܬܗ
ܗ̄ܠܐ ܐܝܟ ܕܝ̈ܢܐ ܪܘܚܢܝܐ ܡܫܝܚܐ ܠܟܠܗ ܠܗܘܢ
ܘܡܢ ܓܘܗ ܕ ܚܝܠܢ ܒܥܘܠܐ ܡܫܝܚܐ ܒܡܫܝܚܘܬܗ
ܒܢ̈ܝܢ ܚܝܠܗ ܒܗܘ ܐܘܪܚܐ ܒܟ̈ܠܝܠܐ ܘܐܬܩܢܬܐ
ܘܒܢ̈ܝܢ ܡܢܝܢ ܢܘܪܐ ܒܥܘܡܩܐ ܕ̈ܝܢܐ ܒܡܫܘܚܬܐ
ܒܡܫܡܫܢ ܕܡܫܝܐ ܘܐ̈ܢܐ ܘܡܢܗ ܡܫܡܫܝܐ ܢ̈ܫܡܐ
ܒܚܘܒܐ ܕܢܚܢܢ ܢ̈ܦܫܐ ܘܐܝܟ ܢܦܫܗ ܠܐܚܘܗܝ ܢ̈ܦܫܐ
ܡܫܝܚܐ ܠܐ ܡܫܬܡܥ ܡܫܬܝܡ ܘܡܫܬܡܥ ܒܠܚܘܕ ܠܒ̈ܢܝܘܗܝ
ܒܠܒܗ ܠܐ ܗܘ ܟܝܢܐ ܘܡܫܬܡܥ ܒܗ ܡܠܟܘܬܗ

ܡܛ̣ ܐܦܝܣ ܦ̣ܘܠܘܣ ܒ

من ملحمته عن المطران بولس بهنام
وتنطبق على بطاركتنا العظام

داسة البطريرك زكا الأول عيواص و المؤلف . يوم منحه رئيس الجمهورية اللبنانية
٢/١١/١٩٩١ وسام الأرز الوطني من رتبة كومندور تقديراً لعطاءاته الروحية
و الثقافية و الوطنية

المقدمة

بعد حـــمد الله تقدس اسْمه

بين يديك أيها القــاريء الكريـــم كتاب عنوانه "بطاركة السريان في القرن العشرين" وهم ستة من أصل /١٢١/ بطريركاً شرعياً جلسوا على كرسي انطاكية العظمى ، ومعظمهم كانوا مِمن بعدت هِمتهم وكانوا مقــاصد للمتعبــين يفزعون إليهم فيحلون مشاكلهم ويدافعون عنهم ويريِحونَهم . وقد استشهد بعضهم، ونفي آخرون في عصور كدر صفــاءهــا الكثير من المهانات، وكان بــينهم أيضاً من تَخرج بــالعلوم على أنواعها فصنفوا العشرات من الكتب النافعة ، بعضها محفوظ وبعضها قد ضاع بل أمر الأباطرة بإتلافها مشدّدين العقاب على من ينسخها كما فعــلوا مع البطريرك مار ســويريوس الكبير تاج السريان،

وبينهم من شرّفه الله بعمل العجائب والْخوارق، وجاهدوا بصبر في سبيل نصرة المعتقد القويم، وبـــينهم أيضاً من أمعن في أعمال النسك على الرغم من مشاغلهم فكانوا من القوّامين والصوّامين فأبلوا بلاءً حسناً، لا سيما في الأوقات التي حفّت الْمكـــــاره بالكنيســـة فأداروا دفتها بـــكثير من الحنكة والحكمة والصبر وصاروا للمؤمنين خير عضد حتى نقلهم الله إليه وعلى رؤوسهم أكاليل الْمجد، وبينهم أيضاً من أخطأ ونال عقابه .إن القديس بطرس مقدّم تلاميذ الرب هو مؤسس االكرسي الإنطاكي بـــين عامي ٣٧-٤٣ ذهب بعدها إلى روما حيث اســـــتشهد وظل الكرسي في انطاكية لغاية عام ٥١٨ أيام مار سويريوس الكبـــير حيث انتقل إلى أديرة عديدة بِجوار انطاكية بسبب الضيقـــات المتواصلة، وأنتقل من ثم إلى دير مار برصوم بجوار ملطية، وفي عام ١١٦٦ نقله البطريرك مار ميخائيل الكبير إلى دير الزعفران بِجوار ماردين وظل فيها لغاية عام ١٩٣٣ حيث نقله البطريرك افرام برصوم إلى مدينة حُمص - سوريا ، ومنها نقله البـــطريرك

يعقوب الثالث إلى دمشق العاصمة السورية عام ١٩٥٩ وما زال فيها لغاية اليوم .

وكانت انطاكية العظمى كما هو معلوم قد بُنيت عام ٣٠٠ ق.م بيد سلوقس نيقاطور اليوناني وسَمّاها انطاكية على اسم والده انطيوخس وصارت عاصمة لآسيا ومركزاً هاماً للتجارة العالمية ووقعت تَحت سيطرة الرومان فالبيزنطيين لسبعة أجيال كما سيطر عليها عدة ملوك وسلاطين إلى أن صارت من أهم مدن المملكة العثمانية ثم أعطيت أخيراً للأتراك . وجَميع البطاركة الـ "١٢١" دُعوا بطريرك انطاكية وسائر المشرق ، ولو اتَخذوا لَهم عبر الأجيال مراكز مختلفة .

إن بطاركة انطاكية السريان في القرن العشرين هم ستة :

١) البطريرك عبد المسيح الثاني (١٩١٥ +) .

٢) البطريرك عبد الله الثاني (١٩١٥ +) .

٣) البطريرك الياس الثالث (١٩٣٢ +) .

٤) البطريرك افرام الأول (١٩٥٧ +) .

٥) البطريرك يعقوب الثالث (١٩٨٠ +) .

٦) البطريرك زكا الأول .

وقد حاولت أن أكتب عنهم باختصار كلي ، وذلك لكي يكون تاريخهم في متناول الجميع ، إذ لاحظت بانه حتى بعض الأكليريكيين ما كانوا يعرفون شيئاً عن هؤلاء الأباء الذين كانوا مسؤولين أوائل عن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية وأبنائها في العالم .

رحِمهم الله وجعل نصيبهم مع الأباء البررة والصالِحين آمين .

نيسان ٢٠٠١

المطران افرام برصوم

١ - البطريرك عبد المسيح الثاني (١٨٩٥ - ١٩١٥ +)

البطريرك عبد المسيح الثاني

١٨٩٥ - ١٩١٥ +

هو عبد المسيح بن إيليا ميخائيل من قرية قلعتمرا القريبة من ماردين ودير الزعفران ، ولد عام ١٨٥٤ وقبل أن يشب تيتّم فأخذه جده ميخائيل لعند خاله عبد الأحد الذي اهتم بتربيته ، وكان للمحبة التي شَمله بِها البطريرك يعقوب الثاني (١٨٧١ +) ، وكانت تربطه بالمترجم علاقة أشبينية ، أكبر الأثر في نفسه بل جعلته يَميل إلى حياة الرهبنة في شبابه. وفي عام ١٨٦٦ التحق بدير الزعفران، وأمر البطريرك يعقوب الثاني رئيس الدير بان يهتم بالفتى عبد المسيح الذي حاول خاله أن يصرفه عن غايته كونه كان وحيداً إلاّ أنه أصرّ على موقفه ومكث في الدير . وإذ لوحظ بأنه تقدّم في دروسه أتشح بالاسكيم الرهباني بيد المطران قورلس جرجس الذي رسّمه كاهناً عام ١٨٧٥ وخدم

الكهـــنوت في مدينـــتي أديمان ومذيات وسواهُما . وفي عام ١٨٨٦ أحد العنصرة استدعاه البطريرك بطرس الرابع[١] ورسَمه مطراناً على سوريا ودعاه "يوليوس" وذلك في كنيسة الأربعين شهيداً بِماردين ولدى رقاد البطريرك بطرس الرابع عام ١٨٩٤ دعي أحبار الكنيسة إلى دير الزعفران وذلك لإنتخاب البطريرك الجديد، والتأم شَمل الأحبـــار بعد ســـبعة أشهر وكانت النيّة أن يُنتخب مار غريغوريوس عبد الله سطوف، إلاّ أن أفكار الآباء اتَجهت في الأخير نَحو مار يوليوس عبد المسيح فانتخبه أحبـــار الكنيسة في الرابع عشر من حزيران عام ١٨٩٥ ورسموه في دير الزعفران بوضع يد رئيس المجمع مار كيرلس جرجس وبمشاركة الآباء مار كيرلس شمعون مطران مذيات ومار اثناسيوس دنـــحا مطران دير مار ابـــحاي بسويرك ومار يوليوس بَهنـــام مطران

١ - تبطرك عام ١٨٧٢ واشتهر بالغيرة والورع ، أهم اعماله زيارته للهند عام ١٨٧٥ وإصلاح أحوالها ، وذلك بعد زيارته بريطانيا والملكة فيكتوريا . ففي ملبار قسم رعاياها إلى سبع أبرشيات راسِماً لَها ستة مطارنة وقدّس لهم الميرون وشيّد عدة كنائس ورسم عشرات الكهنة والشمامسة مؤكداً حرم متى البليار الذي أتعب الكنيسة وعاد إلى القدس في ايار ١٨٧٧ حيث شيّد ست كنـــائس ومطرانية في بلدة نصيبين ، وابتـــاع قرية "بكّيري" التي كانت تزوّد دير الزعفران بأكثر من خَمسمائة ولُجك حنطة سنوياً، وتوفي بشيخوخة صالحة عام ١٨٩٤ .

الجـــزيرة ومار كيرلس يوحنون مطران نصيبين ومار اثناسيوس افرام مطران دير مار كبريال ، ومار يوليوس عبد الأحد مطران دير الصليب وكربوران ، ومار طيمثاوس برصوم مطران دير مار ملكي، ومار ايوانيس الياس هلوله رئيس دير الكرسي . وقد أتمّوا هذا العمل قبل أن يطلعوا السلطات المدنية العليا على ذلك كما كان يقضي العرف ، وقبل أن تصل الموافقة وفرمان السلطان في قبـــول الرســـامة من القســـطنطينية كان المطارنة غريغوريوس جرجس الصدي مطران أورشـــــليم ومار طيمثاوس فولوس أســـقف القسطنطينية ومار قورلس اليـــاس مطران دير مار متى الذين لَم يتمكنوا من الحضور ومنحـــوا المجمع حقــــــهم في التصويت بالمراسلة، وكذا الأمر بالنسبة إلى مار ديونيســـيوس بَهنام سمرجي الذي كان البطريرك بطرس الرابع قد أوقـــفه عن الخدمة، وفي هذه الحالة لا يَحُق له أن يَنتخِب أو يُنتخَب، لذلك لَم يَحـــضر هو الآخر مَجمَع الإنتخاب. كما لَم يَحـــضَر مار غريغوريوس عبد الله مطران آمد حفلة الرســـامة على الرغم من

وجوده آنئذٍ في ماردين وسافر إلى ديار بكر بعد الرسامة بيومين، وبالإتفاق مع مَجلسه تَمّ الإتصال بالباب العالي مظهرين بأنّهم غير راضين عما جرى. إلاّ أن أحبار المجمع اتصلوا بعد الرسامة برقياً بالسلطات الرسمية فجاء الجواب بالموافقة على الرسامة، وصدر فرمان السلطان بتثبيت البطريرك الجديد. لذلك عندما ذهب البطريرك إلى ماردين خرجت المدينة كلها للقائه، وفي صالون البطريركية حضر الجميع لتهنئته. وبعد شهر واحد بدأت الفتنة العمياء في ديار بكر وأغلق النصارى حوانيتهم لا سيما الأرمن، وبدأوا بِمراجعة الرسميين ليؤمّنوا لَهم الحماية من العشائر الكردية والرعاع، وأبرق والي ديار بكر أنيس باشا سراً إلى والي ماردين ليتصل بالبطريرك مُتمنياً عليه الشخوص إلى ديار بكر حتى يساعده في تَهدئة الأوضاع، فتوجّه البطريرك فوراً إلى ديار بكر مع مرافقيه وفريق الجندرما المخصّص لِحمايته، وفوجىء بأن أحداً لَم يَخرج للقائه، وكان الوقت فجر يوم الجمعة ٢٠ / ١٠ / ١٨٩٥ وما أن استقرّ به المقام في دار

البطريركية حتى سُمعت أصوات إطلاق نار بشـــكل غزير، إذ كانت التعليمات للعشـــائر الكردية بأنهم بعد صـــلاة الجمعة يَخرجون إلى الشوارع وهم يصيحـــون "محمد صلوات" وأن يطلقـــوا الرصاص في الْهواء، بـــعد ذلك يهاجِمون الأســـواق وينهبونَهـــا ويَحرقونَها. وأما النصارى من جَميع الطوائف فإن الرعب استولى عليهم فلجأوا إلى كنيســـتنا "مريَم آنا"[٢] وإلى البيوت القريبة منها فضاقت بِهِم الأمكنة، وكانت برقية السلطان عبد الحميد السرية تقول (أدّبوا الأرمن ثلاث ساعات) على أن الساعات الثلاث صارت أياماً وأسابـــيع وامتدت إلى القـــرى المجاورة وشَملت جَميع الأقليات المسيحية. وكان البطريرك عبد المسيح قد حاول الإتصال بالوالي وفشل، فكتب إليه رسالة خطيّة يشرح له فيها واقع الحال وطلب أن تُرسل إليه الحـــماية إلاّ أنه لَم يَجد أحداً يَجرؤ على إيصال الرســـالة، إلى أن تطوّع

---

٢ - قدّست فيهـــا عام ١٩٧١ .

رجـــل اســـمه المقدسي يايان بإيصـــالِها، وفعلاً تَمكن من الوصـــول إلى دار الولاية إلاّ أنه وهو في طريق العودة أمســـكته مَجموعة من الأكراد وقتلوه طعنـــاً بالخنـــاجر. على ان الوالي أرسل كوكبة من الجنود أحاطوا بكنيســـة مريَم آنا والبـــيوت المحيطـــة بِها، وكان على البطريرك أن يُهدىء من روع الناس والنسوة الباكيات والأطفال الخائفين ويؤمّن لَهم طعاماً قـــليلاً يبقيهم على قيد الحيـــاة. وعندما انحســـرت الموجة المدمرة استفاق من بقي على قيد الحياة على هول ما وقع، فالجثث في الشوارع والأسواق والبيوت في معظمها مَحروقة ومنهوبـــة، والمضحك الْمبكي أنه حضرت لَجنة حكومية للتحقـــيق في ما جرى، وقابلوا البطريرك فصاح في وجوههم قـــائلاً : من جهة تقولون إن العهد هو عهد: حريات مساوات عدالات.؟ أنظروا ما الذي جرى.. فقالوا له : إن الأرمن تآمروا على أمن الدولة. فقال لَهم إقبضوا على المتـــآمرين وحاكموهم. ما ذنب الشيخ البريء والإمرأة والطفل والبيوت والأسواق التي نُهبت وحرقت

بالجملة؟ وبدأ بتعزية من بقي على قيد الحياة ويعالِج الجرحى. وكان يسهر على الجميع ويكتب إلى من يلزم وجَمع حوالي مائة يتيم من ضحايا المجازر وأرسلهم إلى دير الزعفران حيث أمّن لَهم الطعام والكسوة والتعليم. وفي عام ١٨٩٧ انطلق إلى مذيات وذلك لإجراء المصالَحات بين أبناء الرعية وكانت الكتلكة تُحاول إيقاعهم في احابيلها باساليبهم الرخيصة المعروفة، بالإضافة إلى البروتستانت وسائر الشيَع التي كانت تُحاول إفساد القطعان السليمة المنكوبة.

كان الغرب يعلم بأننا معشر السريان طائفة عريقة، حتى الأتراك كانوا يسموننا "سريان قديم" بل سمونا "تَميز ملّت" أي الطائفة النظيفة وكنا في الماضي بالملايين وصرنا بالألوف بسبب الضيقات والإضطهادات المتواصلة.

وفي أيام البطريرك عبد المسيح الثاني كنا قد وصلنا إلى الدركِ وبوسعنا أن نسمّي تلك السنوات عهد الإنحطاط، فعددنا تقلّص ومعاهدنا ومؤسساتنا تلاشت، واكليروسنا هزيل وشبه أمي،

والظلم والشعور بالدونية سائد، في هذه الفترة اللعينة نشط دعاة الكتلكة والبروتيـــة، وعوضاً عن مد يد العون لنا ومساعدتنا في الْمحـــافظة على تراثنـــا نَخــروا مثل السوس شجرتنا ونَهبوا مَخطوطاتنا النفيسة التي كان قد علاها الغبار. وأذكر على سبيل المثال بان البطريرك بطرس الرابع عندما زار بريطانيا مع المطران غريغوريوس عبد الله أواخر القرن التاسع عشر وهو في طريقه إلى الهنــد قــابل الملكة فكتوريا وأركان الدولة فكُرّم من الجميع وقابل طبعاً رئيس اساقفة كنتربري فتظاهر هذا بتكريمه قائلاً: إني أجمع لك الإعانات من رعايانا، وسنقدّم لك مطبعتين، فسُر البطريرك الذي لَم يعلم بأنَها كانت مكيدة بل طعماً، بدليل أن رئيس الأساقفة اشترط على البطريرك بأن يســمح في المقابـــل لمبشريه بتعليم السريان وإرشادهم!.. وإلخ... فاعتذر البطريرك ورفض الهدايا في ما عدا المطبعتين. وفي مذيات نظم البــطريرك أمور الرعية وأعاد ترتيب المؤسسات وبنى أربع غرف إلى جانب صالون المطرانية في كنيسة مار تشــموني، وســافر إلى ماردين

حيث استقبل بحفاوة وعيّن مَجلساً ملياً جديداً، وعاد في آذار إلى ديار بكر ومنها إلى استامبول التي مكث فيها سنة وثلاثة أشـــهر حيث قابل السلطان عبد الحميد مرتين، وكان يفكّر في تفقّـــد سريان الهند مثل أسلافه إلاّ أن الصدر الأعظم سعيد باشا صرفه عن ذلك. وفي شـــباط ١٨٩٩ توجّه إلى ديار بكر فماردين التي مكث فيها وفي دير الزعفران الذي جدده وبنى مذبحاً جديداً فيه عام ١٩٠٣ وذهب من نم إلى مذيات وساهم في حل خلافاتـــها الجديدة وذلك بدعوة خاصة من مطرانـــها اثناسيوس يعقوب .

هنا يَجدر بنا أن نذكر بأنه بعـــد عودته من ديـــار بكر إثر مشاكل عام ١٨٩٥ بدأ يتناول الكحول يومياً حتى أدمن عليها، وقد بدا الأمر عندما نصحه البعض بـــتناول القـــليل منه حـــتى تساعده على النوم، وانتهى بـــه الأمر إلى الإدمان مع الأســـف الشـــديد، وانعكس ذلك سلباً على صحته وتفكيره وتصرفاته، وبعدما صبر آباء الكنيسة مدة ثَماني سنوات وهم يراقبون الوضع المزري الذي وصل إليه رأس الكنيسة اضطر آبـــاء الْمجمع إلى

إقالته في لقـــاء عام تَم يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٠٣ في دير الزعفران

وهذا النص السرياني للإقالة مع ترجَمته :

ܒܥܘܕܪܢܐ ܕܐܠܗܘܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܐܬܟܢܫ :

ܣܘܢܗܕܘܣ ܩܕܝܫܐ ܕܐܒܗ̈ܬܐ ܕܝܪ̈ܝܐ ܕܐܬܟܢܫܘ ܒܘܪܟܐ ܡܫܝܚܐ ܕܐܦܝܣܩܘܦܐ ܡܛܠ
ܦܛܪܝܪܟܐ ܡܢ ܒܒܝܬܗ ܘܡܫܝܚܐ ܠܐܢܫܐ ܕܥܒܕܐ ܕܡܫܬܘܕܥܐ ܠܬܘܪܨܐ ܡܘܗܒܬܐ ، ܘܡܫܝܚܗ
ܕܒܬܪܘܗܝ ܒܟܠܠ ܠܝ ܒܗܠܝܢ ܕܒܥܐ ܐܘ ܒܗܠܝܢ ܕܢܗܘܐ ، ܘܐܬܚܙܝ ܒܠܚܘܕ ܘܗܠܝܢ
ܕܐܬܝ :

ܩܕܡܝܬ : ܕܗܢܐ ܒܙܒܢܐ ܗܢܐ ܕܢܗܘܐ ܒܝܫܘܬܐ ܐܝܬܝ ܒܗܕܐ ܘܠܐ ܬܪܝܨܐ ، ܘܒܥܒܕܗ
ܠܗܢܘܢ ܐܝܟܢܐ ܕܠܐ ܒܫܝܢܘܬܐ ܘܒܟܠ ܒܝܘܡܬܗ .

ܕܬܪܬܝܢ : ܕܐܫܬܡܠܝ ܢܡܘܣ ܠܢܡܘܣܐ ܘܐܬܚܫܒ ܒܪܥܝܢܐ ܘܒܥܒܕܐ ܘܡܫܬܘܬܐ ܒܟܠܗܝܢ ܒܗܝܢ
ܡܫܬܡܗܘ ܘܒܢ ܒܟܬܒܐ ܡܫܚܐ ܕܫܡܝܐ ܠܐܒܐ .

ܕܬܠܬ : ܕܐܬܚܙܝ ܒܗ ܡܫܟܚ ܗܘܐ ܒܟܠܗ ܐܝܟ ܕܐܬܦܪܣ ܡܢ ܐܘܫܥܬܐ ܘܡܢ ܒܒܢܝܢ
ܒܟܬܒܬܐ ܕܠܐ ܟܬܝܒ .

ܒܝܕ ܦܘܩܕ ܣܘܢܗܕܘܣ ܕܝܠܢ ܩܕܝܫܐ ܘܐܬܩܢ :

ܩܕܡܝܬ : ܗܢܐ ܕܦܛܪܝܪܟܐ ܒܥܒܕܐ ܡܢ ܒܘܪܟܐ ܡܫܝܚܐ ܕܦܛܪܝܪܟܘܬܐ ܘܠܐ ܠܘܬ ܗܠܝܢ
ܢܬܩܢ ܪܥܝܐ ܒܥܒܕܬܐ ܒܟܠܐ ܕܐܠܗܐ ، ܐܘ ܐܢܬ ܘܐܬܚܫܒ ܒܬܫܡܫܬܗ ܡܢ ܗܝܡ
ܒܝܬܝ .

ܕܬܪܬܝܢ : ܕܗܠܝܢ ܣܘܢܗܕܘܣ ܓܒܝܐ ܕܦܛܪܝܪܟܐ ܐܚܪܢܐ ܠܒܘܪܟܐ ܡܢ ܐܚܝܢ ܢܫܬܘܐ
ܗܘ ܕܡܬܓܒܐ ܠܡܫܡܫܬܐ ܦܛܪܝܪܟܝܬܐ .

ܕܬܠܬ : ܕܗܠܝܢ ܠܘܬ ܡܫܒܚܢܐ ܡܠܟܐ ܪܚܝܡܐ ܒܟܠ ܗܠܝܢ ܕܗܢܘܢ ܘܓܙܪܢ ܐܚܪܢܐ
ܕܢܗܘܐ ܠܗܘܢ ܘܡܬܚܫܒܢ ܠܡܫܒܚܘ ܕܝܠܗ ܕܦܛܪܝܪܟܐ ܗܢܐ ، ܘܢܦܩ ܠܡܦܪܣ
ܓܒܝܐ ܚܕܐ ܐܚܝܢ ܦܘܪܫܐ ܕܦܘܩܕܐ ܦܛܪܝܪܟܐ .

ܐܬܟܬܒ ܗܠܝܢ ܒܝܘܡ ܥܣܪܐ ܒܬܫܪܝܢ ܩܕܡ ܐܛܓ

+ ܐܬܢܣܝܘܣ ܫܡܘܐܝܠ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܐܡܪܝܩܐ
+ ܝܘܠܝܘܣ ܒܗܢܡ ܡܛܪܢ ܕܓܙܪܬܐ
+ ܣܘܪܝܘܣ ܓܘܪܓܝܣ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܡܕܝܢ
+ ܐܢܐ ܛܝܡܬܐܘܣ ܦܘܠܘܣ ܐܦܣܩܘܦܐ ܘܦܛܪܘܦܐ ܕܡܛܪܘܦܘܠܝܛܘ ܦܘܠܘܣ : ܐܬܬܘܡ
ܠܫܘܕܥܗ ܡܩܒܠܐ ܘܪܫܡܬ ܐܢܐ .
+ ܐܢܐ ܕܝܘܢܘܣܝܘܣ ܒܗܢܡ ܡܛܪܢ ܕܒܓܕܕ ܡܟܬܒܐ ܠܘܬܝ ܕܪܡܐ ܫܘܕܥܗ
ܡܩܒܠܐ ܘܪܫܡܬ ܐܢܐ .
+ ܐܢܐ ܣܘܪܝܘܣ ܐܝܣܚܩ ܡܛܪܢ ܕܝܪܐ ܕܡܪܝ ܡܬܝ ܕܡܛܠ ܠܘܬܝ ܕܫܘܕܥܗ
ܡܩܒܠܐ ܘܪܫܡܬ ܐܢܐ .
+ ܐܦ ܐܢܐ ܐܬܐܢܣܝܘܣ ܐܝܣܚܩ ܡܛܪܢ ܕܐܘܪܗܝ ܡܟܬܒܐ ܠܫܘܕܥܗ
ܡܩܒܠܐ ܘܪܫܡܬ ܐܢܐ .
+ ܐܬܢܣܝܘܣ ܐܦܪܝܡ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܡܪܝ ܓܒܪܐܝܠ
+ ܐܬܢܣܝܘܣ ܕܢܚܐ ܡܛܪܢ ܕܡܪܝ ܐܚܐ

بعون الثالوث الأقدس التأم مَجمع الآباء الْمقــدس في دير الزعفران كرسي انطاكية الرسولي، وذلك للنظر في أمر الســيد عبد المسيح الثاني العائد للكنيسة الســريانية المستقــيمة الرأي، ونظرت في تصرفاته غير اللائقة سواء ما يعود إلى الكنيســة أو العامة، وقد ثبتت عليه الأمور التالية :

أولاً : كونه رفّع إلى درجة رئاسة الكهنوت السامية أناساً أغبياء وغير مُهذبين، لا سيّما منصور الأمدي (الديار بكري) الْحديث

الإيـــمان والملامة تصرفاته .

ثانياً : إدمانه على الكحول ولجوؤه إلى الشتائم البذيئة والضرب بشكل أهوج مع الأكليروس والعلمانيين على السواء وذلك لمدة ثَماني سنوات .

ثالثاً : بدا عليه بوضوح مرض عقلي أكّده الأطبـــاء، وكما ظهر من تصرفاته الغريبة .

لذلك قرّر مَجمعنا المقدّس ما يلي :

أولاً : عزل البطريرك المذكور عن الكرسي البطريركي السامي، ولا يَحق له خدمة رئاسة الكهنوت في بيعة الله، وإذا تَجاسر وقام برسامات فإنَها تكون لاغية .

ثانياً : قرّر المجمع انتخاب بطريرك آخر للكرسي، بإشـــراف ورئاسة من سيُنتخب للقائِمقامية البطريركية .

ثالثاً : تقرّر أيضاً إعلام ملكنا الظافر عن كل ما قـــرّرنا وأكّدنا حتى يأمر بإبطـــال فرمـــان البطريرك المعـــزول ويأذن بالبدء بالإنتخاب الجديد بإشراف القائِمقام البطريركي.

أُقرّت هذه في العاشر من تشرين الأول سنة ١٩٠٣ م.

+ اثناسيوس يعقوب مطران نصيبين .

+ يوليوس بَهنام مطران الجزيرة .

+ قورلس جرجس النائب البطريركي في ماردين .

+ اثناسيوس افرام مطران مار كبريال .

+ اثناسيوس دنحا مطران مار اىحاي .

+ أنا طيمثاوس بولس أسقف استامبول والنائب البطريركي فيها، رضيت بِما قرّر الْمجمع الْمقدّس ووقعت .

+ أنا ديونيسيوس بَهنام (سَمرجي) مطران الْموصل اعترفت بِما قرّر الْمجمع الْمقدّس ووقّعت .

+ أنا قورلس الياس (قدسو) مطران دير مار متى قبلت بِمقررات الْمجمع الْمقدّس ووقّعت .

+ وأنا أيضاً ايوانيس الياس مطران أورشليم رضيت بِما قرّره الْمجمع الْمقدّس ووقّعت .

وأطلع آباء الْمجمع الباب العالي على القرار فصدر الأمر

بتأكيده وخسر البطريرك عبد المسيح الثاني مقامه الرفيع واعتبر شخصـــاً عادياً، وقد أبلغته الدولة هذا القرار رســـمياً وهو في مذيات. إنه قرار صعب ولكن كان لا بدّ من اتخاذه، فالكنيسة مع أحبارها صبرت على رئيسها طويلاً وفي الأخير كان لا بـــدّ من البتر، لئلاّ يصل الفساد إلى الجسم بأكمله . والتأم المجمع من جديد وانتخب مار غريغوريوس عبد الله ســـطوف الصدي بطريركاً واحتفلوا بتنصيبه يوم ١٥ / ٨ / ١٩٠٦ .

في هذه الفترة كان البطريرك عبد المسيح في مذيات حـــيث استلم أمر السلطان بعزله وإلغاء فرمانه، وكان قد بنى له بـــيتاً، واكتفى الآباء بـــذلك وتركوه يَجتر حـــزنه وحـــده لغاية عام ١٩١٠ حيث اتصل به المطران الهندي ديونيسيوس كوركيس أبو المشاكل والفكرة الإنفصـــالية[٣] ودعاه إلى الســـفر إلى الهند حتى يرسم لَهم مفرياناً، وظلّت الرسائل تتوارد لغاية عام ١٩١٢

٣ – والذي قال عنه البطريرك يعقوب الثالث في كتابه عن الكنيسة في الهند : ''كان ديونيســـيوس كوركيس ازور العينين تبرأ منه الضمير الْحي'' .

حيث حوّل له الهنود دعاة الإنفصال الخبثاء ثلاثمائة روبية لتغطية مصاريف سفره، وسافر أخيراً إلى الموصل وحلّ ضيفاً على الوجيه أنطوان عبد النور وكان يرافقه راهبان هُما الراهب يوحنا المذياتي والراهب عزيز الكربوراني، أما المواصلة الغيارى فإنهم صرفوا قصارى جهدهم لثنيه عن عزمه ومنع سفره إلى الهند إلاّ أن جَميع جهودهم باءت بالفشل، عندها جعلوا راهباً آخر اسمه متى أن يرافقه ورجوا البطريرك المعزول بأن يشرح وضعه بالسر للذين يلتقيهم، وسافر، مع العلم بأن الهنود كانوا قد اتصلوا به عدة مرات وهو بطريرك شرعي يطلبون رسامة مفريان لَهم كخطوة أولى لقطع العلاقة مع انطاكية وإعلان الجثلقة، لأن المفريان أو الجاثليق له تقريباً نفس سلطة البطريرك، فكان جواب البطريرك عبد المسيح في حينه : "مَحروم كل من يطلب مني هذا الطلب بإسم الآب والإبن والروح القدس" أما الآن فإن الوضع يَختلف، فقد اعتبر أنّ المجمع ظلمه وأصدر حكماً غيابياً بإقالته، بينما لَم يكن بالإمكان استجوابه لكونه لَم

يكن يَملك قواه العقلية بشهادة الأطباء فساقه الغيظ إلى القيام بِما قام به وحَمّل الكنيسة أجيالاً من المشاكل ما زالت تعاني منها لغاية اليوم .

وصل البطريرك المعزول إلى بومباي فوجد اثنين من قبل ديونيسيوس كوركيس ينتظرانه وهُما القس كوركيس والراهب كوركيس، وعندما وصل إلى المنطقة الشمالية فإن أهلها تَجاهلوه ولَم يستقبلوه كما يليق، وكانت وجهته الأولى بلدة كونام كولام إلاّ أن أهلها لَم يبالوا به بل لَم يقدموا له ولِحاشيته الطعام من الكنيسة واعتبروه شخصاً عادياً. وفي بلدة برملا جعلوه يرسم في آب ١٩١٢ في كنيسة ماربطرس وبولس مطراناً أطرش إسمه بولس طاعناً في السن مفرياناً طالباً من المتمردين خطياً بأن لا يذهبوا فيما بعد إلى شيما بل أن ينتخبوا ويرسموا مفارنتهم بأنفسهم، وقد توفي المفريان الشيخ بعد قليل من رسامته ولَم يَحضر دفنته سوى ثلاثة كهنة، ورسم عمسيح فيما بعد الراهبين فنوس ويوياقيم مطرانين ورسم القس يعقوب

خورياً وكاهنين هما فيلبس والكسندروس، وشماساً قـارئاً إسمه لوقا. بعد هذا سفّروه مع رهبانه إلى أورشليم بعد أن دفعوا لكل راهب عشرين ليرة ذهبية، وجَمعوا لعمسيح ستمائة ليرة ذهبية، وعندما وصـلوا إلى أورشـليم استقبله أحد أقاربه وابن بلدته الْخوري يعقوب ملكي الكاثوليكي الذي أخـبر البطـريرك المعزول بأن البطريرك عبد الله موجود في القدس حتى يسرع إلى مغـادرة المدينـة وطلب منه أن يذهب لعنده حتى يستريح وقد أشيع في حينه بأن البطريرك عبد المسيح كتلك وجاء به الْخوري ملكي إلى بـيروت، ومن هنـاك وبعد أن سرق مال البطريرك المعزول ومتاعه سفّره إلى ماردين، وما إن سَمع بِمجيئه ابن عمه القس عبد المسيح وكان يَخدم في ويران شـهر وأهالي قـرية قلعتمرا حتى جاؤوا إليه وحزنوا عندما رأوه على تلك الْحـالة المزرية ودعوه للذهاب إلى قريتهم ففعل وارتاح بعض الشـيء، وفي الثامن من حـزيران عام ١٩١٣ جاء اكليروس منطقـته والزعماء وأفراد الشعب وأخذوه إلى دير الزعفران بزياح كبير،

وما أن شاهد الدير حتى غادره نصف مرضه، وحل في الصالون التحتاني يَخدمه موسى أحد أقاربه، إلا أنه وبعد وقــت قــصير دقت طبول الحــرب العالمية الأولى، ودبــت الفوضى وغادر سكان قلعتمرا وبنابيل وسواها قراهم ولَجأوا إلى الدير مِما جعل البطريرك المعزول يَحزن كثيراً، وظلّت صحته تتراجع حتى يوم ٣١ / ٨ / ١٩١٥ حيث فارق الحياة وأهله ومعارفه يحيطون به، فجنّزه أربعة من أحبــارنا هم ماركيرلس جرجس، مار الياس هلولي، ماركيرلس منصور راهب خلو ومار سويريوس شموئيل الذي من بــادبّه وجَمع كثير من الأكليروس والعلمانيين ووضع جثمانه في ضريح قريب من قبور البطاركة وبيت القديسين، عفا الله عنه وعنا وشَمله برحمته .

٢ - البطريرك عبد الله الثاني (١٩٠٦ - ١٩١٥ +)

البطريرك عبد الله الثاني

١٩٠٦ - ١٩١٥ +

ولد في قرية صدد الشهيرة والمذكور اسمها في الكتاب المقدّس وكان منذ نعومة أظفاره بالحياة الرهبانية ولوعاً، تَجول في عهد رهبنته في مناطق الرها وسعرد وطورعبدين ونصيبين وقراها وكان يَملك سجلاً بأسماء ومواطن السريان في تلك المناطق وفي الثالث من أيلول عام ١٨٧٢ رسمه البطريرك بطرس الرابع مطراناً على القدس ورافق البطريرك في زيارته الشهيرة إلى الهند مارين ببريطانية وبعد عودَتِهما إلى الوطن، سافر وحده إلى لندن وجاء بالمطبعتين اللتين كانتا قد أهديتا للطائفة إلى دير الزعفران وما زالتا هناك كرمز لرغبة رؤسائنا المرحومين في تقدّم الطائفة في حقل المطبوعات والمنشورات، وفعلاً نشرت هذه المطبعة البدائية عدة كتب طقسية وسواها سدت فراغاً

كبيراً في هذا المجال. ونقلت خدمات المطران سطوف إدارياً من أورشليم إلى سوريا فديار بكر، وخلال وجوده في ديار بكر عام ١٨٩٥ اندلعت نيران الفتنة الطائفية، وإذ لاحظ بأن حياته في خطر، اضطر إلى اللجوء إلى القنصلية الفرنسية في ديار بكر، إلاّ أن القنصل الكاثوليكي الماكر رفض استقباله حتى يعلن انتماءه خطياً إلى الكثلكة، فتظاهر المطران عبد الله بأنه كتلك حتى ينجو من الموت، وبعد زوال المِحنة عاد إلى أرثوذكسيته، وكانت هذه التجربة من أقسى التجارب في حياته، وقد رشحه آباء الكنيسة لدرجة البطريركية بعد رقاد البطريرك بطرس الرابع عام ١٨٩٤ إلاّ أنّهم فضّلوا عليه في اللحظة الأخيرة المطران يوليوس عبد المسيح مطران سوريا، ولدى عزل هذا عام ١٩٠٣ إنتخب الْمجمع عام ١٩٠٦ المطران عبد الله ونصّبوه بطريركاً في دير الزعفران في الخامس عشر من شهر آب بإحتفال كبير، شارك به سريان المنطقة وشمل الجميع فرح كبير. وكان المطران ديونيسيوس بَهنام سَمرجي قد أسس مدرسة اكليريكية

عام ١٩٠٥ أيــام قائِمقاميته بِمُساعدة أهل ماردين، وعلّم فيها الراهب افرام برصوم الموصلي[١]، وبعد تنصيب البطريرك عبد الله ظلت هذه المدرسة تستقطب رعاية وعناية الجميع وفي مقدمتهم البطريرك وكانت في نِهاية كل عام دراسي تقــيم إدارة المعهد حفل تَخرّج للطلبة، وفي إحدى السنوات كان خطيب الحفــل الراهب برصوم، الذي ألقى كلمة بــعنوان: ماضي الســريان وحاضرهم ومستقبلهم، وحضرالحفل كالعادة البطريرك واهل ماردين وسكان الدير والجوار، وقد لفتت الجميع كلمة الراهب الذي كان يعــلّم في ذلك المعهد، وفي نفس الوقت كان مديراً لمطبعة الدير التي طبعت عدة كتب نافعة. وبعد تنصيبه بطريركاً حدّثنا في إحدى سهراته بأن الجميع أُعجبوا بكلمته التي كان قد أعدها بعنــاية وصفّقوا له مراراً وبحمــاس لا سيما البطريرك، وتنبــأوا له بِمســتقبل باهر، ولو أن المدرســة استمرت لكان

١ - (البطريرك افرام الأول برصوم فيما بعد).

أكليروس السريان في بداية القرن العشرين أكليروساً ناجحاً بكل معنى الكلمة، ولكن على العكس من ذلك فإن اندلاع الحرب العالمية الأولى وانشغال الناس بمصائبهم ومِحَنهم، وبُعد البطريرك عن دير الزعفران قصّر عمر هذا المعهد، وبالتالي اضطر القيمون عليه إلى إغلاق أبوابه.

رسم البطريرك عبد الله ثَمانية مطارنة في دير الزعفران والرها، ثُم انتقل عام ١٩٠٨ إلى القدس ومن هناك زار استامبول، ومنها سافر إلى الهند ماراً ببريطانية التي زار فيها ملكها ادوارد السابع ووزير الشؤون الهندية الذي زوّده بتوصيات، وكان قد رسم مطرانين للهند في القدس في شباط من عام ١٩٠٨ وذلك في دير مار مرقس وهُما كيرلس بولس وديونيسيوس كوركيس وهذا الأخير كان يَحمل فكرة انفصال الكنيسة في الهند عن انطاكية. وفي تشرين الأول من عام ١٩٠٩ وصل إلى الهند فاستقبل بِحفاوة بالغة، وطفق ينظر في شتى أمور الطائفة فرسم مطرانين هُما اثناسيوس بولس لأبرشية انكمالي

وسويريوس كوركيس للكناعنة. وخلال وجوده في الهند شكّل البطريرك عبد الله عام ١٩١٠ أبرشية خاصة للكناعنة وذلك بناء على طلب وجهائهم. والكناعنة فرقة كبيرة من سـريان الهند ويـرتبط وصولهـم إلى الْهند بالتاجر السرياني الرهاوي توما الكنعاني الذي وصل من الرها إلى سواحل الْهند الْجنوبية الغربية (ولاية كيرالا اليوم حيث الغالبية السـريانية) وذلك عام ٣٣٩م والتقى بعض الناس استدل عليهم بأنّهم نصارى من الصلبان التي على صدورهِم، وكانت تلك المنطقة في تلك الأيام تدعى ملبار وخاضعة كنسياً لأسقفية بلاد فارس وأحبارها الذين أشـغلهم اضطهاد شابور الثاني الفارسي عن تفقد الأحوال الدينية لسكان ملبـار، فنقل توما الكنعاني أخبارهم لدى عودته إلى وطنه إلى بعض أساقفة ومؤمني منطقته، فكان أن تطوّع المطران يوسـف أسقف الرها ومَجموعة من كهنته ومؤمني أبرشيته بلغ عددهم الأربعمائة نفس بالذهاب إلى ملبار وذلك بعد استئذان البطريرك الإنطاكي، وبلغوا أول الأمر مدينة (كودنكلور) أوائل عام ٣٤٥

على عهد ملكها (جيرمان برومال) الذين رحّب بِهم أجمل ترحيب وأعطاهم امتيازات ساوتَهم بأعلى طبقة من الهندوس وانشرح صدر المسيحيين القلائل ومنذ ئذٍ دُعوا سريان وكنيستهم الكنيسة السريانية، واهتمت هذه الجالية بنشر الدين المسيحي في تلك المنطقة وأنشأوا عدة كنائس كان أولها كنيسة كودنكلور تِجاه هيكل الملك الذي ساعدوه في بعض حروبه فمنحهم لقب الأشراف، ونَموا وانتشروا دون أن يَمتزجوا بالمصاهرة مع المسيحيين الْمحليين وهذا التقليد سائر لغاية اليوم، وتوفي المطران يوسف في البنغال وفي عام ٣٩٤ نقل الكناعنة رفات القديس مار توما الرسول الذي كان قد استُشهد في الهند مع زنار السيدة العذراء إلى مدينة الرها على عهد مطرانِها قورا، وفي وقت لا نعلمه انتقل الزنار إلى مدينة حُمص، وجانب من عظام القديس توما إلى كنيستنا في الموصل، وما زالت هذه الذخائر هناك تنفع المؤمنين روحياً.

إذن، في عام ١٩١٠ تقدّم اكليروس واعيان الكناعنة من

البطريرك عبد الله الثاني والتمسوا منه بـــأن يَجعل من الكناعنة ابرشية مستقلة تراجع البطريرك مبـــاشرة ومطرانـــها يُرسم من البطريرك فقط ولَها هيئاتـــها ومَجالسها ومؤسساتها المختلفة الخاصة بِها وكذا دستورها ونظامها ولا سلطة للرئاسة المحلية عليها، فرضيَ البطريـــرك بذلك ومنح الكناعنة خطياً كل هذه الإمتيازات، المعمول بِها لغاية اليوم.

عدد الكناعنة حالياً هو بِحدود الأربـــعمائة ألف نســـمة، منتشرين في الهند وخارجها ووضعهم الإجتماعي جيد، مركز الأبرشية بلدة جينكافنام حيث يقيم مطرانـــهُم في دير مار افرام الكبير والمحاط بالحـــدائق الغناء وبـــلدات أخرى مثل راني وكليشـــيري وكوريتشي وســـواها وقد تَميّز الكناعنة بالتعلّق بالكرسي الإنطاكي وفي أعيادهم القومية والمناسبات المفرحـــة يغنّون قصائد فيها حنين إلى الرها وسرد لترو حهم منها في القرن الرابع.

في أيار ١٩١١ عقد البطريرك عبـــد الله مَجمعاً في علواي

حيث عزل ديونيسيوس كوركيس وعيّن مكانه كيرلس بولس كمطران لِملبار وسنّ بعض القوانين وغادر ملبار إلى فلسطين. فَمـــا كان من ديونيسيوس وطه شيري إلاّ أن استقدم البطريرك المعزول عبد المسيح الثاني وجعله يرسم فيما زعم جاثليقاً وعدة مطارنة غير شـــرعيين وتسبب بالتـــالي بِهذا الشرخ الكبير في الكنيسة لغاية اليوم. أما البطريرك عبد الله فإنه بـــعد عودته إلى أورشليم احس بألَم في عينيه واضطر إلى البقاء في المشـــفى أكثر من خَمسين يوماً خضع خلالَها لعملية جراحية ناجحة، وكان في الوقت عينه يعاني من مرض الدوسنطاريا، إلى أن رقد بالرب يوم ٢٦/١١/١٩١٥ وجنّز ودفن في ديرنا المرقسي، رحِمه الله. قال عنه البطـــريرك افرام برصوم: كان البطريرك عبد الله وديعاً ومتواضعاً وأحاديثه طلية، إلاّ أنه كان بَخيلاً.

٣ - البطريرك الياس الثالث (١٩١٧ - ١٩٣٢ +)

البطريرك الياس الثالث

١٩١٧ - ١٩٣٢ +

هو ابن الخوري إبراهيم شاكر، ولد في ماردين عام ١٨٦٧ ودُعي في المعمودية نصري. درس في مدارس منطقته وأحب صناعة الصياغة، وأصيب وهو بعد فتى بِمرض جلدي مزعج لَم يُشفَ منه إلاّ بعد أدعية ونذورات من قبل والديه المؤمنين، وقد نذره أبواه إذا هو شفي أن يقدّماه للرب، وقد شُفي فعلاً والتحق بدير الزعفران القريب من بلدته العريقة وأحب حياة الرهبانية التي التحف بِمسوحها عام ١٨٨٩ واتّخذ له اسم الياس ورُسم كاهناً عام ١٨٩٢، وعيّن رئيساً لدير مار قرياقس في البشيرية، ومن ثم لِمدة سنة لرئاسة دير الزعفران. وقد أظهرت سنوات الضيقات والجوع تلك، مدى غيرته وعنايته بالمحتاجين ولاسيما الأيتام الذين تَجاوز عددهم المائة والذين كانوا قد لَجأوا إلى دير

الزعفران خلال مذابِح عام ١٨٩٥ وبعدها، نزولاً على رغبـــة البطريرك عبد المسيح الثاني وكان هذا الدير التارِيخي الذي صار مقراً للكرسي الرسولي الإنطاكي لأكثر من سبعة قرون، بِمثابة سفينة نوح يستقبل المنكوبين والمضطهدين والمطاردين من قبل الظالمين، فيمنحهم حياة الطمأنينة والهدوء ويوفّر لَهـــم كل وسائل العيش الكرِيم، لا سيما بالنسبة إلى القرى القريبـــة منه والتي كان يقطنها السريان المنكود حظّهم والذين تعرّضوا عدّة مرات للقتل والنهب والتشريد، وفي عام ١٨٩٩ أوفدته الرئاسة زائراً رسولياً إلى مذيات وكانت في تلك الأيام تغصّ بالســـريان وفيها الكنـــائس والْمزارات، وكانت الكثلكة وســـائر الشيَع تُحاول اقتحام قلعتها فتصدّى لَهم هذا الأب الغيـــور ودافع عن حق الأرثوذكسية فيها وصالَح المتخالفين والزعامات الفارغة .

وانتقل من ثم إلى النيابة في ديار بـــكر حـــيث درس اللغة التركية فأجـــادها ونال إعجـــاب الذين يتحدثون بِها بالولادة كونه ولد في مدينة لغة اهلها العربية، وكان يدافع عن المظلومين

ويساعد ذوي الحاجة، وفي هذه الفترة بنى جانبـــاً من كنيســـة ميافرقاط المهدّمة فصلّى المؤمنون في هذا الْجزء. وفي عام ١٩٠٨ انتخبته ابرشية ديار بكر ليصير مطراناً عليها، وقدّمت بـــذلك طلباً رســـمياً إلى البطريرك عبد الله الذي رسم الربان الياس شاكر مطراناً وذلك في ٢ /٣ / ١٩٠٨ بإسم مار ايوانيس، وقد وصلت إليّ عصا اليد التي كان يَحملها في حينه وهي من خشب الأبنوس الأسود وبرأس فضية أنيقة وذلك يوم زرت تركيا عام ١٩٧١ وقد نقش تَحت الراس بيت من الشـــعر لإبـــن العبري يقول: ܣܘܟ ܝܒܝܫ ܠܡܣܡܘܟܐ ܠܟ ܒܝܢܝ وإلخ... وسلمتها إلى البطريركية الجليلة مع بعض المناشير القدِيمة، طالباً من الأخوة الأحبار في أحد المجامع بان يفعلوا الشيء ذاته، حتى يَجتمع في البطريركية مع الأيام الأشياء القدِيمة العائدة إلى الكنيسة فتصير خَميرة لمتحف في المستقبل.

وفي عام ١٩١١ أُوفد إلى طورعبدين كقاصد رسولي وذلك لإصلاح أحوالها، فتفقد كنائسها وأسس سبع مدارس ابتدائية في

قــراها وفي آذار من عام ١٩١٢ نُقــلت خدماته إلى مطرانية الموصل، ولدى وفاة البــطريرك عبــــد الله عام ١٩١٥ اختير كقائِمقام للكنيسة فانتقل على الأثر إلى دير الزعفران والْحرب العالمية الأولى في أوجهـــا، ودعا أحبـــار الكنيســـة للإنتخاب البطريركي فانتخبوه بطريركاً ورسمه الآباء في احتفال كبـــير بإسم الياس الثالث وذلك في ١٢ /٢ /١٩١٧ وقد شـــارك في الإنتخاب الربان افرام اسطفان برصوم مُمثلاً أبرشية القـــدس والأراضي المقـــدّســـة والذي رقّـــاه البطريرك الجديد لدرجة الأسقفية الســـامية ورسمه في العشـــرين من أيار عام ١٩١٨ لأبرشية سوريا ودعاه سويريوس، وفي السنة التالية رافق المطران افرام البطريرك في بعض زياراته وفي مقدمتها استامبول حـــيث نال البطريرك الجديد براءة السلطان وحيد الدين آخر ســـلاطنة بني عثمان والنيشان المجيدي من الدرجة الأولى، وأوفد من ثم المطران برصوم إلى مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ حـــيث قـــدّم مذكرة خطية دقيقة ومدروسة تنطوي على الخسائر في

الأرواح والْممتلكات التي لَحقت بالطائفة السريانية الأرثوذكسية، وتبيّن من المذكرة بأن ثلث الطائفة السريانية الأرثوذكسية أُبيدوا (١٣٦ ألفاً تقريباً) إلى جانب الكنائس والأديرة القديمة التي هدمت وإلخ ... وتظاهر زعماء أوروبا الكبار بأنّهم يستمعون ولكنهم في السر كانوا يتقاسَمون تركة لْمملكة العثمانية (الرجل المريض كما كانوا يسمونَها) وما ناله لمطران برصوم المتحمس عداوة الأتراك لا سيّما الزعماء منهم مثل عصمت انونو الذي خلف أتاتورك في رئاسة جَمهورية تركية والذي هدّد المطران برصوم في نِهاية المؤتَمر بأن يَجروء على دخول تركية، فلم تطأ قدم المطران افرام برصوم أرض تركية منذ ذلك الحين. أما البطريرك فإنه زار بدءاً من عام ١٩١٥ ديار بكر والرها وحلب وحَماة ودمشق وزحلة وبيروت ونال التوصيات بالمحافظة على نصارى بيث نَهرين، وعند إلغاء السلطنة وإعلان الْجمهورية أرسل برقية تَهنئة إلى مصطفى كمال الذي إنتُخب كأول رئيس للجمهورية التركية.

وسافر من ثم إلى القدس فدمشق فحلب فأنقره وقابـــل أتاتورك شخصياً في مَحطة سكة الحديد، وعاد إلى حلب حيث رســم عام ١٩٢٣ المطرانين يوحنا عبـــاجي وسَمّاه قـــليميس وذلك لأبرشية دير مار متى والراهب جبرائيل أنطو لدير مار مرقـــس بالقدس. وسافر إلى ماردين ماراً بأورفا وديار بكر حيث استقبل بِحفاوة منقطعة النظير بالنظر للمحـــبّة التي كان يكنّها له الناس من جَميع الطوائف والنحـــل ووجد المؤمنون في شـــخصه كل التعـــزية. وفي عام ١٩٢٣ حضـــر إلى دير الزعفـــران المطران ديونيســـيوس كوركيس الهندي حـــامل فكرة الإنفصال عن انطاكية ومعه الكاهنان إبراهيم وزكريا. فاستقبلهما البطريرك برقّته المعهودة وقلبه الكبير، ودعا الراهبين يوحنا كندور والياس قورو ورســـمهما مطرانين الأول بإسم ايونيس والثـــاني بإسم يوليوس وأوفد هذا الأخير إلى ملبار كقاصد رسولي مع المطران الْهندي وكاهنيه وهو يَحمل منشوراً رســـمياً ربط به الهندي حتى إذا تاب وسار بِموجب قوانين الكنيســـة أخبر مار يوليوس

قداسته ليحلّه وإلاّ فلا. وجاء البطريرك الياس إلى حلب حيث قدّس كنيستها الجديدة التي على اسم مار افرام والتي بناها الوجيه السيد سليم عازار في حي السليمانية وذلك يوم الأحد السابع من كانون الأول، وكان يساعده في ذلك مطران الأبرشية مار سويريوس افرام برصوم، ورسم لِهذه الكنيسة كاهناً هو الشمّاس الياس شيلازي، وفي هذا الشهر قدّس أيضاً كنيسة مار جرجس في زحلة - الميدان، وانحدر من ثم إلى القدس، حيث أرسى حجر الأساس لكنيسة مار افرام في بيت لَحم، وأعاد إصدار مَجلة الحكمة ودعم مدرستها وعيّن لَها مديراً جديداً هو الأستاذ مراد فؤاد جقي وشقيقه ميخائيل. وعيّن الربّان يوحنا دولباني ليعلّم الطلاب مادة الدين واللغة السريانية. وفي عام ١٩٢٧ ذهب إلى شِمال العراق حيث بنى عدّة قلالي في دير مار متى الشهير، وقد حدّثني بعض من شاهدوه أو شاركوه في عملية البناء، بأنه كان يساعد العمال بيده، وقد حاولوا يوماً إزاحة صخرة كبيرة عن طريق الدير الْجبلي

(الطبكي) فلم يتمكنوا من ذلك بالنظر لضخامتها، فتقدّم هو من الصخرة الكبيرة وبعد أن رسم عليها إشارة الصليب المقدّس، سند ظهره إلى صخرة أخرى مقابل الصخرة الكبيرة ودفعها برجله اليمنى، فتحرّكت ببطء من مكانِها ثُم انحدرت إلى الوادي بين صيحات الفرح والدعاء لقداسته بطول العمر.

كان، نفعنا الله بِمقبول دعاه، بَهي الطلعة أنيقاً، وقد شوهد عدة مرات يَجلس القرفصاء في صالة المطرانية ويفصّل ثيابه السوداء أو الملوّنة الخاصة بالقداس بيده، وكانت لِحيَته طويلة كثة مهيبة ونظراته تنم عن ذكاء فطري يُحبه الناس من جَميع الطوائف بالنظر لطيبته لا سيّما عندما كان يركب صهوة جواده في تركيا وقراها وهو بزيّه الأنيق وابتسامته العذبة ونياشينه العديدة، وكان يُدخن إلاّ أنه أقلع عن التدخين بناء على نصيحة الأطباء بعد إصابته بِمرض في القلب. قدّس الميرون ست مرات، ثلاث مرات في دير مار مرقس في أورشليم، ومرتين في دير الزعفران، ومرة في كنيسة الطاهرة في الموصل.

وفي التشارين من عام ١٩٣٠ دعا إلى عقـــد مَجمع في دير مار متى حضره معظم آباء الكنيسة وبعض مندوبين علمانيين من الأبرشيات الســـريانية وكانت هذه خطوة رائدة دلّت على بعد نظر قداسته في أن للعلمانيين أيضاً دوراً في الكنيســـة. وفي هذا المجمع اتُخذت عدة قـــرارات مفيدة، كما أذن باســـتعمال الموسيقى خلال الخدمات الدينية، وأكل السمك في الأصوام.

وخلال وجوده في العراق زاره ذات يوم المفوّض الســـامي الإنكليزي ونقل إليه دعوة موجّهة من فايســـروي الهند (نائب الملك) اللورد ايروين لزيارة الهند، ومُحاولة حل مشـــاكلها. علمـــاً بأن الأتـــراك كانوا قد نزعـــوا عنه الجنســـية التركية فزوّده الإنكليز بِجواز مرور.

إن هذه الدعوة في الواقع كانت شـــركاً هندياً، أراد بـــه خبثاؤهم استدراج البطريرك الطيب إلى عش الزنابير بواســـطة اللورد ايروين حتى يفاوضوه في موطنهم من موقع قوة، فإما أن يوافقهـــم على بـــاطلهم وعلى ما صنعـــه البطريرك المعـــزول

عبد المسيح أو يزعجوه بشكل سافر ووقح. وتبيّن بـــأن معظم الأحبار وفي مقدمتهم المطران افرام برصوم وأبناء الرعية لا سيما في الموصل التمسوا منه بحرارة بأن لا يلبي هذه الدعوة المشؤومة لا سيّما وأنه يعاني من نوع من أنواع أمراض القـــلب، إلاّ أنه في النتيجة استعدّ لِهذه الرحلة لسبب بسيط هو أن التضحـــية صفة ملازمة لبطاركتنا العظام، لا سيّما أولئك الذين ذهبوا إلى الهند ورقدوا في ترابِها، وكان البـــطريرك الياس واحـــداً من أولئك الأحبار العظام.

كان يـــوم ٦/ ٢/ ١٩٣١ يوماً حـــزينـــاً في الموصـــل، رتّـــل فيه الكهنـــة والشمامســـة تـــراتيـــل الوداع الحزينة بالسريـــانيـــة وبـــكوا بِحـــرقة وكـــأنّهـــم أحسوا بأنّهـــم لن يـــروا راعيهم الصـــالِح ثانية، رتـــلوا ܢܦܩ ܝܘܢܢ ܡܢ ܢܝܢܘܐ

ܟܪܝܐ ܘܚܕܝܢܐ ܠܗ . ܢܦܩܘ ܒܢܝ̈ܐ ܡܠܘܝܢ ܠܗ ܙܒܢܝ̈ܢ ܬܪܬܝܢ : ܙܠ

ܒܫܠܡܐ ܟܪܘܙܐ ܕܩܘܫܬܐ ܕܐܗܦܟܬܢ ܡܢ ܛܘܥܝܝ ܠܐܘܪܚܐ ܕܚܝܐ (١)

---

١) ومعناها : خرج يونان من نينوى حزيناً، وخرج أهل نينوى في وداعه مرتلين: إذهب بسلام يا كاروز الحق، لأنك اعدتنا من الضلال إلى طريق الحياة .

ووقف المودعون وعيونهم مسمّرة على السيارات المتوجّهة إلى بغداد حتى غابــت عن أنظارهم فعادوا إلى الموصل دامعين، وفي بغداد زار البـطريرك ملك العراق فيصل الأول فاستقبـله بِحفاوة كبيرة، وكذلك فعل اللورد ايروين في دلـهي، ومعظم المسؤولين الكبار، بِمن فيهم مهراجات كوتشـين وترافنكور، والجميـع منحوه الأوسِمة الرفيعة كما كانت تقضي عادات تلك الأيام. كان السريان الهنود في تلك الأيام شـديدي الولاء للبطريرك الانطاكي ويعتبرونه المرجع الديني الأعلى لَهم، تَماماً مثل البابا بالنسبة إلى الكاثوليك، وكان هذا الولاء سائداً حتى في أيام انحطاطنا في القرون الأخيرة بسبب الإضطهادات والمظالِم، في الوقت الذي كان الهنود يتثقّفون ويتقدّمون ويزدادون عدداً، لذلك اعتنقت قـلّة من الْهنود فكرة الإنفصال لأنهم الأقـوى اكليريكيين وعلمانيين لا سيّما أولئك الذين زاروا ديارنا وعاينوا حقيقة أوضاعنا وهزالنا، فعددنا قـليل وأديرتنا ومعاهدنا خالية وخاوية، وأكليروسنا شبه أمي، بينما الْهنـود على العكس من

ذلك عددهم يزداد فُهم يتوالدون، ومناطق تواجدهم أمينة وهادئة، وهُم بطبيعتهم يُحبون العلم بل في وقت من الأوقات كانت نسبة المثقفين من السريان تشكّل أعلى نسبة في الهند، كما أفادنا عام ١٩٦٤ الدكتور زكير حسين نائب رئيس الجمهورية، وتعلموا كيف يزرعون الشاي والقهوة وحب الهال والمطاط وكل هذه الزراعات تدر على أصحابِها أرباحاً طائلة وبالتالي فإن أغنياءهم تزايدوا وترفهوا. وكانت أبرشياتنا لا سيّما الشمالية منها تدين بالولاء للبطريرك الإنطاكي أيام زيارة البطريرك الياس. وذات يوم وفيما كان البطريرك في دير علواي بأبرشية انكمالي، مُجتمعاً بالمطارنة قورو وعباجي وبولس والرهبان قرياقس تنورجي ويشوع صموئيل جاء من يُخبر البطريرك بأن المطران كوركيس الهندي المحروم قد حضر. كان البطريرك عبد الله قد حرمه بسبب أفكاره الإنفصالية ضد رغبة غالبية الهنود، ودخل الصالة وهو يرتَجف ويردّد ܡܪܝ ܡܪܝ ܫܒܘܩ ܠܝ ܣܟܠܘܬܝ. سيدي اغفر لي جهالتي.

وما أن اقترب من البطريرك الذي فوجىء بدخوله مع سائر المتواجدين في الصالة حتى ركع وطه شيري أمامه وهو يردّد هذه العبارة. فما كان من البطريرك إلاّ أن مدّ له يديه ورفعه وعانقه قائلاً : لقد حللتك من حرمانك. وطلب من جَميع الموجودين في الصالة أن يفعلوا الشيء ذاته، وأن يعانقوه، وسادت الفرحة وتفاءل الكل بقدوم الخير والسلام، والواقع بأن الأمر لَم يكن كما توهّم جانب البطريرك، لأن ما كان يبطنه كوركيس الخبيث كان غير ما كان يفكّر به البطريرك الياس الطيّب. وقد أثبتت الأيام ذلك، إذ كان كوركيس بدأ يرصد تَحركات البطريرك في زياراته للأبرشيات ويرسل مشاغبيه إلى الكنائس التي كان يزورها وذلك لإفساد مقاصد الزيارة ومراميها، بأن يُحيطوا بالمكان ويصيحوا "سَماثانم" أي نريد السلام. والله وحده كان يعلم من هو مع السلام الحقيقي ومن هو ضدّه، وما هو مفهوم السلام بالنسبة إلى كوركيس وطه شيري وما هو مفهوم السلام بالنسبة إلى البطريرك الطيّب القلب، فسلام

وطه شيري كان أن يقبل البطريرك بِما صنعه البطريرك المعزول عبد المسيح الثاني، أي الْحصول على رتبة المفريانية المشابهة لرتبة البطريركية تَمهيداً لإعلان الإنفصال عن البطريركية وبــالتالي الإستغناء عنها نِهائياً، في الوقت الذي لَم يكن هذا رأي الغالبية العظمى من الهنود. بينما سلام البطريرك كان رفض كل شيء صنعه البطريرك عمسيح المعزول واعتبار كل عمل قام به باطلاً، وبعبارة أخرى شرعنة تلك الأعمال وإصلاحها وذلك بــإعادة رسامتهم وكان معظم الهنود مع البطريرك وما يُمثّل من شرعية وتسلسل رسولي، وكان كل فرد في هذا الجانب الذي يشكّل الغالبية يردّد قائلاً: "نَحن لا نســتطيع أن نتــرك انطاكية التي جعلتنا أعضاء في كنيسة رســولية منحتنا الخـــلاص". لذلك لاحظنا بأن كل مُحاولة في جعل جانب البطريرك أن ينتمي إلى الطرف الآخر ولو في مُحاولة خاطئة لتوحــيد الكنيســة كانوا يرفضــون ذلك كونَها ضد قناعتهم، وكانوا عندما يَجــدون الطريق أمامهم مسدوداً ينتمون إلى الكتلكة قــائلين: هذه على

الأقل كنيسة رسولية، وظلّت الأمور تدور في حلقة مفرغة ومرت السنوات وقوي مع الأيام جانب الإنفصاليين لأسباب قومية وميل الهنود إلى الإنفصال معتبرين علاقتهم بإنطاكية نوعاً من الإستعمار وكانت الدولة الهندية ضمناً مع دعاة الإنفصال وتَميل إليهم، وتصدر الأحكام في معظم الْحالات لصالِحهم.

من العادات الْجارية في تلك الأيام أن يكون للبطريرك وحتى للمطران قواص أو ياور يُختار عادة من الرجال الأقوياء مِمَن له جثة ضخمة وشاربان معقوفان، ويرتدي في الْحفلات الرسمية ثياباً خاصة مزركشة بالقصب من القمصلة وحتى الشروال ويعتمر طربوشاً ويَحمل سيفاً وكرباجاً ويسير أمام البطريرك أو المطران. وقد حضر مع البطريرك الياس قواصه، إلاّ أنه بعد مرور أسابيع قليلة أصيب بِمرض (الجوري) وهو نوع من الحكاك الهندي المزعج الذي يسلب المصاب به لذة النوم إلاّ أنه لا يصيب جَميع الوافدين إلى الْهند، فأنا مثلاً عشت في الْهند

أكثر من ثلاث سنوات ولَم أُصب به ولله الْحمد .

وإذ ازداد الجوري على القـــواص، التمس من قداســـة البطريرك أن يأذن له بالعودة إلى وطنه، وفعلاً عاد، ولحسن الحظ كان يعيش في تـــلك الأيام في ملبـــار شخص طوراني اســـمه كبريال صوما حضر إلى الهند قبل قدوم البطريرك بعشر سنوات وتزوّج من هندية سريانية وأنـــجب منها تسعة أولاد، وكانت له كل مواصفات القواص، فَحلّ مَحل القواص القديـــم ويَمتاز عنه كونه كان يتحدّث اللغة الْمحلية أي المليالـــم ، وذات يوم وبينما كان البطريرك الياس في كنيسة كوربَمبدي، ملأ أتبـــاع وطه شيري الكنيسة قبل أن يَحضر البطريرك، ولدى حـــضوره ضجوا بالصراخ (سَماثانـــم) فسار البطريرك وحاشيته بِهدوء إلى المذبح واستدار وقال للصارخين :

ܠܐ ܕܚܠܝܢܢ ܡܢ ܒܝܫܐ ܡܛܠ ܕܡܪܝܐ ܥܡܢ ܗܘ ܘܥܡ.

ومعناها أننا لا نَخشى من الشـــرير لأن الرب معنا والخ... وإذ لاحظ بأنَهم لن يتركوه يلقي موعظته سار يريد مغادرة الكنيسة

ومعه الحاشية، ولاحظ كبريال بأن واحداً من المشاغبين اقترب من البطريرك ومدّ رجله يريد فركشة البطريرك فاتّجه نَحوه بسرعة ووضع رأسه تَحت إبطه وضغط عليه فكاد يَختنق فسمع كبريال البطريرك يُخاطبه قائلاً: دعه يذهب، فتركه كبريال. فسقط الهندي على الأرض، وصار هزءاً وخاف الباقون. إذن لن يرعووا باللجؤ إلى مثل هذه الأساليب التافهة والرخيصة في مُحاولة لإلْحاق الإهانة بِهذه الشخصية الكبيرة. إلاّ أن البطريرك الياس استمر في تفقّد الكنائس وإلقاء المواعظ والإحتفال بالقداديس من أجل إفادة المؤمنين البسطاء وكانوا الغالبية في تلك الأيام، إلى أن كان يوم السبت ١٣ شباط ١٩٣٢ وبينما كان يَمشي في حوش كنيسة مار اسطيفانس في قرية أوملور في الجنوب قال للموجودين معه "داخ رأسي" فجاؤوا به إلى سريره وارتَمى عليه، وخف سكرتيره زكريا شاكر إلى صندوق صغير فيه علبة النشادر الذي كان الأطباء قد أوصوه بتقريبه من أنفه في مثل هذه الحالات، وكان في الماضي يستفيق، إلاّ أنه في هذه المرة لم

يتجاوب أبداً مع النشادر، فاستدعت الْحاشية الأطباء القريبين فأفادوا بعد فحصه بدقة بأنه توفي. وهو أول بطريرك يرقد ويُدفن في تلك البلاد البعيدة وهو ابن ٦٥ عاماً، حيث أُقيم فوق ضريحه مقام جليل تَحول إلى مزار فكنيسة فخمة ودير صغير أقمت فيه أكثر من ثلاث سنوات، أبرق المطرانان عبه جي وقورو فوراً إلى المطران افرام برصوم مطران سوريا ولبنان في ذلك الحين وطلبا منه أن يُبلغ العالَم السرياني بِهذا الخطب الجلل وأتبعا البرقية برسالة ضافية بالكرشوني تَحدثا فيها بالتفصبل عن حادثة الوفاة وكيف جرت مع حفلة التجنيز التي حضرها جَميع الأحبار والأكليروس والشعب الهندي المؤمن.

وفي ما يلي نَموذج من كتابات البطريرك الياس الثالث وهو عبارة عن منشور مَجمع دير مار متى المنعقد في التشارين من عام ١٩٣٠:

ܒܫܡ ܐܝܬܝܐ ܡܬܘܡܝܐ . ܐܠܝܢ ܐܝܬܘܬܐ ܕܟܠ ܐܝܬ :

ܐܝܬܝܗܘܢ ܦܬܪ ܕܒܘܪܝܐ ܡܚܝܢܐ ܕܐܝܬܘܬܐ :

ܗܘ ܐܠܗܐ ܠܐܠܗܐ ܡ

البركة الرسولية والسلام بالرب يسوع، إلى أخوتنا السادة المطارنة الأجلاء، وأبنائنا نواب الأبرشيات، والْخوارنة والرهبان والقسوس والشمامسة الأحباء، وحضرات الوجهاء والأدبــاء، مع جَميع أفراد شعبنا السرياني الأرثوذكسي الأعزاء،الخاضعين لكرسينا الإنطاكي الرســولي المقــدّس المؤيّد من الله، حفظكم الرب الإله بغزير بركاته العلوية، بشفاعة الســيدة مَريَم العذراء وسائر الشهداء والقديسين آمين .

بعد افتقــاد خواطركم العزيزة نقول : إن السلطــان الذي أعطانا إياه الرب للبنيان " ٢ كورنثوس ١٣ : ١٠ " قــد دعانا مع بعض أعزائنا السادة مطارنة الأبرشيات الأجلاء، إلى عقــد مَجمع إداري، للنظر في ما طرأ من التغيير والإهمال على بــعض قوانين كنيستنا المقدّسة وتسوية حاجاتِها ولوضع أنظمة تضمن إصــلاح ما هو مُفتقر إلى الإصلاح من أحوالنا الطائفية، ولَما كانت أحوال الزمان وظروفه الصعبة تَحــول دون عقــد هذا الإجتمــاع في سالف الزمان منذ عهد بعيد، ورأينا أن حاجتنا

تـــزداد مع مرور الأيام، أمرنا بعقد الْمجمـــع في دير مـــار متى بالموصل فاجتمع معنا أخوتنا الموقرون : اثناسيوس توما قـــصير مطران حلب وتوابعها، ومار سويريوس افرام بـــرصوم مطران سورية ولبنان، ومار اقليميس يوحنا عباجي مطران أبرشية دير مار متى سابقاً وولدنا الخورفسقوفس سليمان نائب الأبرشـــية المذكورة، وتأخر بقية السادة لأسباب متنوعة، وقد حضر معنا أيضاً بناءً على دعوتنا بعض أولادنا الكهنة والوجهاء والأدبـــاء مُمثلي الأبرشيات ليعرضوا حاجات بلادهم ويشتركوا بالأمور الإدارية فقط، ولَما كانت حاجات الكنيسة ومشـــاكلها كثيرة اكتفى المجمع بست عشرة جلسة قرّر فيها واحد وأربعين قراراً إدارياً وأضاف قوانين إلى قانون الرهبانية وسنّ قانوناً للمجالس الملية مؤجلاً النظر في قانون الكنيسة العام وإنجاز ما تبقـــى من الأعمال إلى مَجامع أخرى تضم جَميع الأخوة المطارنة في سائر أبرشياتنا السريانية بعونه تعالى في اقرب وقت مناسب. وها إننا نذيع في الصفحـــات التالية خلاصة المقـــررات التي يَجب على

الشعب أن يطلع عليها، حاثين الرؤساء والمرؤوسين في هذا المقام كلاً حسب رتبته ، ومقدرته، ووظيفته أن ينفذ هذه القرارات، بطاعة كاملة، والله سبحانه وتعالى يقدرنا على خدمة كنيســـته وبنيانـــها، ونعمته تعالى لتكن معكم دائماً آمين .

(صدر عن دار البطريركية في الموصل في ١١ و ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٠)

٤ - البطريرك افرام الأول برصوم (١٩٣٣-١٩٥٧+)

البطريرك افرام الأول برصوم[1]

١٩٣٣ - ١٩٥٧ +

أسرة برصوم موصلية عريقـــة، انحدرت من جدها الأعلى "برصوم" الذي عُرف في أواسط القرن السابع عشـــر والذي أورث أبناءه وأحفاده مكارم الأخلاق. إنصرف بعض رجـــال هذه الأسرة إلى الأعمال التجارية ففازوا بِها، واشتغل بـــعضهم موظفين في الدولة لا سيّما في الشـــؤون المالية، ففازوا بالسمعة الحسنة أيام الحكم العثماني، وامتـــازت الأســـرة بأعمال الخير وبِمحبة أهل الخير، وكنا ونَحن طلاب في الأكليريكية بالموصل نرتاح عادة لأسابيع قليلة خلال فصل الصيف في ديرنا الشـــهير

---

١) ألّف المطران بولس بَهنام كتاباً عن المترجم دعاه نفحات الخزام أو حياة البطريرك افرام، وجاء الكتاب غاية في الروعة ولا غرو فإن عبقرياً كتب عن عبقري، أحيلكم عليه فيما إذا أردتُم المزيد من المعلومات علماً بأني اعتمدت بالدرجة الأولى على هذا الكتاب .

ديـــر مار متى، فكنا نلاحظ وجود جنـــاح خاص في هذا الدير يطلقون عليه "بيت برصوم" أنفقت على تشييده هذه الأســـرة الكريـــمة .

كان اسطيفان برصوم يَمتاز بِمحبته للعلم، وعرف في مطلع القرن العشرين، فكانت داره العامرة منتدى لأهل العلم وكرام القوم في الموصل، يَجتمعون للتباحث في شـــتى المواضيع العلمية والأدبية والإجتماعية، وكان مِحور الحركة فيهم صاحب الدار بِما ينثره من أفكار سليمة يَمزجها بنكاته المستبـــدعة يطلقـــها بعفوية امتازت بِها الأسرة. من ذلك مثلاً كان يحضر دفن عجوز طاعنة في السن، وكان على الكاهن قاريء الحساي أن يرجو لَها الجلوس في أحضان ابراهيم، فوشوش اسطيفان مَن حوله بقوله: "أعـــان الرب أبانا ابراهيم على هذه اللقطة" وكان لاسطيفان جـــار كاهن متعصّب لكثلكته وتَميّـــز بالبساطة الزائدة وكان كلما التقى اسطيفان يقول له : حيف عليك أنت أرثوذكســـي تعال وصير باباوي. فكان اسطيفان يصرفه بالتي هي أحســـن،

ويظهــر بأن اسطيفــان لَم يكن يوماً بِمزاج جيد وإذ ســمع الأسطوانة ذاتهــا من الكاهن الشــيخ قال له فورا: ''وحدبة برصوم وين أروح بيها يا ابن الــ'' فكانت النهاية .

أما الأم سوسان عبد النور المتحدرة من أسرة كرِيمة ومؤمنة فقد أنجبت لأسطيفان ثَمانية أولاد أربع بــنات وأربــعة أولاد عرفت منهم الأخ الأكبر يونان الذي كان يَجلس خلال القدّاس وراء أحد المذابِح، وصادف أني قدّست وأنا راهب شــاب في كنيسة الطاهرة في الْخمسينيات وتعمّدت خلال القدّاس تلاوة حساي طويلة بليغة من تعريب شقيقه البــطريرك فطلب مني في نِهاية القدّاس نســخة منها، كلهم يتذوّقون الكلمة البليغة ذات الجرس الموسيقي. أما الأخ الأصغر الدكتور عبــد الله بــرصوم خريج الجامعة الأميركية في بيروت فكان يــأتينا كل صيف مع أفراد أسرته الكرِيمة إلى دار البطريركية في حــمص ومن ثم إلى فــالوغا في لبنان، فكنا نســتأنس به وبأحاديثه الشيقة وملحه المســتبدعة. أخبرنا بأنه بــدأ عمله كطبيب في مدينة البصرة،

وصادف وجود طبيب بـــريطاني في المدينة اســـتدعي ذات مرة للإشـــراف على معـــالجة سيدة حـــامل، ولَم يوفّق البريطاني فاستدعت الأسرة الدكتور برصوم على عجل وقـــد وفقـــه الله وولدت المرأة طفـــلاً جَميلاً وســـليماً على يده، فرنّ صيته في المدينة، وانطلق بنجاح في مســـيرته الطبية في جَميع الأمكنة التي خـــدم فيها: البصـــرة، كركوك، الموصل، وأخيراً كمدير عام لوزارة الصحة العراقية. ونعود إلى الوالدة المؤمنة التي حدّثنا عنها المترجم قائلاً: كان إذا مرض أحد الأولاد لا تأخذه إلى الطبيب وإنّما إلى كنيسة الطاهرة فتلفه بستر الْهيكل الكبير وهي تتمتم ببعض الأدعية، ثُم تنفض الستر علينا، فنعود إلى الدار معافين.

ولد في الموصل في ١٤ حزيران ١٨٨٧ وسُمي في المعمودية "أيوب" أخذ عن أسرته كل المحامد والمكارم وظهرت عليه بوادر النبوغ منذ الصغر وكان نَحيل الجسم وهو في الرابعة إلا أن علائم النجابة والتألّق بـــدت عليه بـــوضوح، فأدخله والده إحـــدى المدارس الوطنية ومن ثم مدرســـة الدومنيكان، وكان

يشـــاهَد وهو ذاهب إو عائد من المدرسة وهو يتأبط كتبه كأنه فوق عمره الطبيعي، فإذا وصل الدار انفرد في غرفته و كتبه معه، يطالع ويكتب ولا يترك عزلته إلا لتناول الطعام، وفي أيام الآحاد كان والده يأخذه إلى الكنيسة فكان يراقب كل شيء بانتبـــاه، وفي الدار صنع له كنيسة صغيرة كان يَحتفل فيها بالطقوس بعد أن يرتدي شبه حلة كهنوتية مع المبخرة وتوابعها، يســـاعده في ذلك أحد أشقائه أو زملائه. وكان يرأس في تلك السنوات دير مار متى التارِيخي مطران بار إسمه المطران الياس قدســـو، كان كلما انْحدر إلى الموصل نزل في دار اسطيفان برصوم، وكانت الأم سوسان تقوم بـــواجب الضيافة على أكمل وجه، ولأنه ما كان يأكل اللحوم كانت تطبـــخ له طعاماً صيامياً، على الغالب الأرز مع القيسي (المشـــمش الْمجفف) وتَجمع الأولاد أمامه ليصلي عليهم ويضع يده على رؤوســـهم وكان أيوب الصغير يُحدّق في وجه المطران المشرّب بِحمرة العافية فيميل إليه ويُحبه ويسأل أمه إذا ما تأخرت زيارته: متى سيترل شـــيخ متى لعندنا؟

وهكذا نشا مزيّناً بـــالفضائل، في بـــيت رفيع الدعائم، وقـــرأ عشرات الكتب باللغتين العربية والفرنسية اللتين أتقـــنهما على اساتذة ومشائخ قديرين وكتب المقالات ونظم بعض الأشـــعار وهو بعد في السابعة عشرة من عمره، وقد قيل قديماً "إثنان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا" لقد كان بردّ الله ثـــراه طالب علم بكل ما في هذه الكلمة من معنى، يقرأ ويطالع كل ما يقـــع تَحت يده ولأنه كان يَملك ذاكرة قـــوية فإن مَخزونه العلمي كان غزيراً، وقد أتقن العربية والفرنســية وأَلَــمّ بالسريانيـــة والتركية، كل ذلك بإشراف وتوجيه مطران أبرشـــيته الفاضل المطران بَهنام سَمرجي (١٩١١ +) الذي كان قد رسمه شَمّاساً قارئاً فرســـائلياً عام ١٩٠٥ وســـافر من ثم إلى دير الزعفران، وهناك رسمه البطريرك عبد الله الثاني شَمّاساً إنجيلياً عام ١٩٠٧ وفي ١/ ٤/ ١٩٠٧ وشحه بالاسكيم الرهباني المقـــدّس واختار لنفسه اسم "افرام" ملفان الكنيسة الجامعة. وفي ٨/ ٣/ ١٩٠٨ رسمه البطريرك كاهناً فاكتملت فيه نعمة الله وأصبح مســـتعداً

للنُزول إلى ساحة الْجهاد الروحي والعلمي. وعيّنه البطريرك مدرِّساً للعلوم الدينية وآداب اللغة الفرنسية لِمُدة ثلاث سنوات في دير الزعفران وعندما أُسندت إليه رئاسة مطابع الدير سنة ١٩١١ قام بأعبائها خير قيام وأشرف على طبع ونشر عدة كتب طقسية، كما وطبع عدة كتب من تأليفه مثل "التحفة الروحية" و" تاريخ دير الزعفران" وسواها. وفي العطلات الصيفية كان يتجوّل على المدن والبلدات والأديرة الْمحفوظة فيها خزائن أنفس المخطوطات السريانية في تركيا وسوريا وفلسطين ومصر والعراق ويأخذ منها ما هو بِحاجة إليه[٢]. وفي عام ١٩١٣ زار أوربا وأهم عواصمها العلمية في ذلك الْحين مثل باريس ولندن وكمبردج وروما وفلورنسا وبرلين وغيرها حيث جَمع معلومات ثَمينة عن تلك المخطوطات النادرة التي تركها لنا السلف الصالِح شهادة على النبوغ السرياني عبر العصور.

---

٢) وكان يسميه الطوارنة ديروير دتاريخات .

وفي تشــرين الثاني عام ١٩١٦ انتدبــه مار غريغوريوس مطران أورشليم ليشارك في انتخاب البطريرك الجديد بعد رقاد البطريرك عبد الله الثــاني فانتخب البطريرك الياس الثالث الذي عيّنه في السنة التالية نائباً بطريركيا على أبرشية سوريا ولبــنان ورســمه مطــراناً في ماردين في ٢٠ أيار من عام ١٩١٨ باسم مار سويريوس وقد عاونه في الرســامة المطرانان كيرلس مطران خربوط وصموئيل مطران دير مار ملكي بطور عبدين، وعاد إلى أبرشيته في ١٤ آب ســنة ١٩١٨ بــعد زيارة قــصيرة لوطنه الموصل. ومن حسن الحظ أنه بعد وصوله إلى أبرشــيته وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، فبدا المطران افرام لا كرجل دين فحسب بل كرجل علم ووطنية .

وموقفه الجريء الذي وقفه في مدينة حُمص بــعد دخول القوات الفرنســية إلى المدينة معروف، وكانت سوريا بأكملها تعيش مأساة واقعة ميسلون الشهيــرة والتي استشهد فيها وزير الدفاع السوري يوســف العظمة، واندفع على أثرها الْجنرال

غورو الفرنسي قائد الحملة الشرس إلى العمق السوري بـــكل تَجهيزاته العسكرية الحديثة بل قصف دمشق، وأرســل فرقــة عسكرية إلى بلدة حُمص، فاجتمع الحماصنة قبل وصول الفرقة وتَمّ الإتفاق على أن يتحدّث المطران افرام برصوم بإسم المدينة، وكانت شهرتــه قد ســبقته بل وأطــلق عليه السوريون لقب " مطران العرب وقِسّ الزمان "[٣] ورضي المطران بأن يقوم بِهذا العمل، وقد استعاد الْجميع ما كان قد صنعه المطران عام ١٩١٩ في بــاريس في مؤتَمر الســلام الذي تَحدث فيه مرتين باللغــة الفرنسية حيث أفهم المؤتَمــرين بأن العرب أمة واحدة بينهــم المسيحي وبينهم المسلم وانــهــم خلال الحرب ناصروا الحلفاء وقدّموا التضحيات الجسيمة في سبيل ذلك إبان الحكم العثماني الغـــاشم الذي علّق أحرار العرب على أعواد المشانق في دمشق وبيروت دون تَمييز بين مســلم ومسيحي. وفي لقــاء حُمص

---

٣) قِسّ بن ساعدة معروف في التاريخ العربي بفصاحته وبلاغته .

تحدّث أيضاً بالفرنسية موجهاً كلامه إلى القائد الفرنسي وأركان
حربه وهو بزيّه الأسقفي المهيب مشيداً بمبادىء الثورة الفرنسية
لافتاً أنظارهم إلى الواجبات المترتبة عليهم، لا كغزاة فاتحين بل
كأصدقاء مُحررين، مشيداً بجهود رجالات العرب الذين
ناصروا الْحلفاء في سوريا ضد العثمانيين وتَمنى عليهم بأن لا
يسكروا بِخمرة النصر بل ان يقدّروا للعرب الجهود التي بذلوها
في سبيل نصرة قضايا الحق والعدالة. وردّ عليه القائد الفرنسي بِما
يناسب وتُليَ منشور غورو، وجلس الْجميع إلى مائدة عامرة
تكرّس فيه التفاهم، وسجّل التاريخ لمطران العروبة ما قام به
لِخدمة البلد والمواطنين، وقد جئت شخصياً على ذكر هذه
الواقعة يوم كنت راهباً أخدم في أبرشية حلب واحتفلنا بأربعين
البطريرك افرام برصوم عام ١٩٥٧ وبتكليف من المرحوم
المطران جرجس قس بَهنام وقد حضر هذا الإحتفال شخصيات
حلب الدينية والسياسية. بعد مؤتَمر السلام المشار إليه قضى
المطران برصوم في أوربا سبعة أشهر كاملة زار خلالَها أهم

خزائن كتبها، كما زار بعض الشخصيات السياسية أمثال مسيو بوانكاريه رئيس جَمهوريـــة فرنســـا وزار أهم الشخصيات في بريطانية وإيطالية، وعاد إلى أبرشيته في أيار من عام ١٩٢٠ .

وفي عام ١٩٢٧ أوفده البطريرك الياس إلى لوزان ثُم جنيف وذلك لِحضـــور جلسات مؤتَمر الأديان، وحضـــر بعـــض اجتماعات عصبة الأمم في جنيف شـــارحاً أمامهـــم ما عانته الأقليات المسيحية إبان الحكم العثماني إلاّ أنه لَم يفز بطائل بـــل فاز بعداوة زعماء الأتراك، الذين التفتَ أحدهُم إليه وهو يَخرج من قاعة المؤتَمر، وهو عصمت انونو خليفة أتاتورك في رئاســـة الْجمهورية التركية والذي قال له : لن ادعك تدخل تركيا بعد اليوم - فأجابه المطران افرام برصوم : لا حاجة لي إلى بلد لا يوفّر الحماية لمواطنيه، وفعلاً لَم يزر المطران برصوم تركيا حتى بـــعد اعتلائه السدة البطريركية لأنه عاش طوال حياته تَحت كابوس الْمجازر التي ارتكبت في تركيا بِحق الأقليات المسيحية ومنهم السريان، وهـــا نَحن اليوم نلاحظ كيف أن بعض الدول الراقية

مثل فرنسا وأميركا وسواها تدين تلك المجازر بشدة. وفي صيف ١٩٢٧ شدّ الرحال إلى الولايات المتحدة حيث تفقّد أحوال السريان المهاجرين إليها ودشّن فيها ثلاث كنائس : كنيسة ويست نيورك في ١٨ ايلول ١٩٢٧ والثانية في سنتر الفولس في ٢٥ أيلول ١٩٢٧ والثالثة في وسترماس في ٢١ نيسان من عام ١٩٢٨ ورسم العديد من الكهنة والشمامسة وألقى عشرات المواعظ بل القى مُحاضرتين في جامعتي بروفيدانس وشيكاغو ونشر كتاب " تَهذيب الأخلاق " للفيلسوف يحيى بن عدي. وعاد من رحلته هذه إلى حُمص في ١٠/ ١١/ ١٩٢٩ بعد غياب خَمسة عشر شهراً. قال عطّر الله ثراه ضاحكاً وهو يُحدثنا في إحدى السهرات عن ذلك : بينما كان الْجميع منهمكاً بأناشيد الترحيب بي، استدعيت الطباخة ووشوشتها بأن تطبخ "طنجرة برغل"، وكان دائِماً يردد قائلاً: "شرقنا أفضل بلاد العالَم".

عاش، رحِمه الله، فترة الحرب العالمية الأولى وعاين مآسيها

وما خلّفته من ويلات وعالَج في جُملة ما عالَج نتائج تلك المآسي التي تقشعر لِهولِها الأبـــدان، من ذلك احـــتضان من هاجر من تركيا، بعد مقـــتل من قُتل ظلماً، ومنهم ســـكان الرها المدينة الْخالدة وما جاورها من بلدات وقرى، وذلك بـــعد انحدارهِم على شكل موجات إلى البر السوري بـــرّ الآمان واستقـــروا في حلب وحُمص ولبنان وفلسطين والعراق، فسارع إلى استقبالِهم بِحنوّ الأب وأمّن لَهم المأوى البسيط في البداية والمواد التموينية والعمل، وذلك خلال موجات عام ١٩٢٢ و ١٩٢٤ و ١٩٣٣ ومن جُملتهم أفراد عـــائلتي ودافع عن كرامة الأمة في الْمحافل الرســـميـــة كما ســـبق وذكرت إلاّ أن الدول الكبرى صمّت آذانِها، لأنَها ببســـاطة كانت تَهمها بالدرجة الأولى مصالِحها الْخاصة بل على العكس حاربتنا في عقر دارنا فجذبـــت الْهزيلة نفوسهم إليها عن طريق عملائهم من الكاثوليك بينما حـــافظ غالبية الأحرار من ابنائنا على مذهب الآباء والجدود لغاية اليوم. حتى في أبرشـــية حُمص مركز كرسيه، فإنه كان يعاين بِحزن

عميق كيف كان مطرانهم يوسف رباني يراقب الأوضاع من جحره كالضبع ويدخل على الخط عند وقوع المشاكل وما أكثرها، من تعيين مُختار إلى فتح مدرسة أو الإفراج عن موقوف وسوى ذلك فإنه كان يتدخل بشكل وقح وبدعم سافر من فرنسا المستعمرة بل وينفق الأموال من أجل أن يبدل أولئك الفلاحون البسطاء مذهب جدودهم، في تلك الأيام العصيبة نقرأ بان المطران افرام برصوم استلم ذات يوم برقية وفيها يطلب منه المفوّض السامي الفرنسي تسليم دير مار اليان التاريخي في ضيعة القريتين إلى الفرقة الكاثوليكية في القرية من دون قيد أو شرط، ولَم تنفع احتجاجات المطران برصوم ولا شكاويه التي وصلت إلى الخارجية في باريس وما زال الدير بيد الكاثوليك مع أن عددهم كان بحدود الثلاثين عائلة، بينما عددنا كان يتجاوز المائة .

بالإضافة إلى جهوده وأتعابه العلمية والثقافية والإدارية فإنه وجه هِمة مشكورة إلى الناحية العمرانية، وفيما يلي ندرج أسماء بعض الكنائس والمدارس التي بُنيَت أو اكتملت بِمساعيه

ومساعدته أو دشنها بعد بنائها في عهد أسقفيته وهي :

١ - كنيسة مار جرجس في قـــرية زيدل بِجوار حُمص، وهي كنيسة كبيرة جَميلة بوشر ببنائها قبل أسقفيته وذلك عام ١٩٠٨ ولكنه سعى مع سريان زيدل وعلى رأسهم الشيخ أبو فارس فأتَمّ بناءها و كرّسها باحـــتفال كَبـــير في ٢٣ نيسان سنة ١٩٢٤ .

٢ - كنيسة مار جرجس في الحسكة، التي أســـتملك أرضها بِمساعدة المستشار الفرنســـي في دير الزور يوم مرّ بِها في طريقه إلى الموصل لزيارة مسقط رأســـه عام ١٩٢٤ ثُم بنيت بِجهود الشعب السرياني في الْحسكة .

٣ - كنيسة مار افرام في حي السليمانية بِحـــلب، وهذه وهب أرضها وشيّدها من ماله الخاص الوجيه السرياني المرحوم سليم عازار بين سنتي ١٩٢٤ - ١٩٢٥ وكرّسها بِمعية سلفه المطوّب الذكر البطريرك الياس الثالث .

٤ - كنيسة مار جرجس في زحلة، ومعظم سريانِها من قـــرية

بنابيل القريبة من دير الزعفران، قضوا أول سنوات هجرتِهم بدون كنيسة وعندما انضمّ لبنان إلى أبرشية سوريا سعى المطران برصوم لبناء هذه الكنيسة التي تَمّ تكريسها عام ١٩٢٥ .

٥ - كنيسة السيدة العذراء في قرية مسكنة القريبة من حُمص دشّنها سنة ١٩٣٠ .

٦ - كنيسة مار اليان الناسك في القريتين، أُسست هذه الكنيسة بِمساعيه ومساعدته وبذل الشعب السرياني في الأبرشية جهوداً مشكورة وذلك كرد على استيلاء الكاثوليك بِمساعدة فرنسا على دير مار اليان الأثري في هذه القرية وتسليمه من دون وجه حق إلى الكاثوليك المنفصلين، وتكرّست سنة ١٩٣٢ .

٧ - كنيسة مار بطرس وبولس في بيروت - المصيطبة، كرّسها في ٢٦ شباط ١٩٣٣ .

٨ - كنيسة مار جرجس بِحي السريان بِحلب وضع حجر

أساسها عام ١٩٣٢ وأتَمّ بناءها الشـــعب الغيور وصلّى فيها، إلى أن كرّسها رســـمياً أيام بطريركيته عام ١٩٥٢ وكنت في حينه شَماساً أخدمه .

٩ - شيّد مدرسة وقلاية مطرانية في قـــرية الْحـــفر وتبرّع لَها بِمبلغ مُحترم من جيبه الْخاص، أتمّ البناء في عام ١٩٢٣ .

١٠- مدرسة صدد، تطوّع ببنائها من جيبه الْخاص على أساس قديـــم عام ١٩٢٤ .

١١- كرّس ثلاث كنائس في الولايات المتحـــدة كما سبـــق وذكرنا.

عندما وصلت البرقية الْحزينة من المطرانين عبه جي وقورو من الْهند وهي تَحـــمل نعي المثلث الرحَمات البـــطريرك الياس الثالث، أرسل المطران برصوم قواصه ليلاً لِيُخبر البيوت القريبة من دار المطرانية ومن جُملتها دارنا، وكان والدي المرحـــــوم يسكن في حينه بلدة حُمص بعد نزوحه من تركيا، وكان يسهر مع مَجموعة من رفاقه فوقع الْخبر عليهم وقوع الصاعقة، وما أن

طلع النهار حتى كان العالَم السرياني بأكمله قد علم بالخبر الحزين، وطلب المطرانان بأن يعمل المطران برصوم على انتخاب القائمقام لأن الأوضاع في الْهند ما كانت تحتمل التأخير، فاطلع المطران برصوم مطران حلب توما قصير الأقدم رسامة بالأمر ففوّض رسمياً إلى المطران برصوم بأن يطلع أحبار الكنيسة على مُجريات الأمور بعد أن انتخبه قائمقاماً فانتخبوا بالإجْماع للقائمقامية المطران برصوم فبدأت عملياً أعماله المتشعبة المتعبة وسافر لفترة قصيرة إلى أورشليم لأن الأرمن حاولوا كعادتِهم دائماً الإستيلاء على حقوقنا في المدينة المقدّسة وقابل المندوب السامي البريطاني الذي أوقف المعتدين عند حدّهم، وعاد من ثم إلى حُمص ليتابع أعماله الرسولية، والإستعدادات للإنتخاب البطريركي .

كان معاونو البطريرك في تلك الأيام من الأحبار والرهبان قلّة، إذ لِم تكن الأكليريكية قد تشكلت بعد، وكان المطران برصوم يتولى كل شيء بنفسه تقريباً، والطائفة قد خرجت

حديثاً من أتون الحرب والهجرة في أوجها، وبالنظر لطيبة شعبنا وبساطته فإنه كان على الغالب يلجأ إلى الكنيسة ورجالاتِها لقضاء حاجاته الكثيرة، والأمر طبعاً يَختلف إذا كان الحبر في قمة المسؤولية، وكان، طيّب الله ثراه، يلبّي حاجات المراجعين على اختلاف مشاربِهم ونِحلهم، وكنت تراه يلمع إذا ما كان الزائر مهماً، ولا يهمل في الوقت نفسه أيّ مراجع مهما كان عادياً، وكانت المراسلات تأخذ معظم أوقاته، لا سيما وأن الطابعات وآلات التصوير لَم تكن دارجة في تلك الأيام، فكان يكتب كل شيء بِخط يده الْجميل باللغات الأربع السريانية والعربية والفرنسية والإنكليزية.

ولأن الْجميع كان مستعجلاً لإنتخاب البطريرك الْجديد، فإن القائمقام وجه الدعوات لِجميع أحبار الكنيسة لِحضور مَجمع الإنتخاب، فوجّه الدعوة إلى الأحبار التالية أسماؤهم:

١ - مار اثناسيوس توما قصير مطران حلب.

٢ - مار غريغوريوس جبرائيل أنطو النائب البطريركي في كندا

٣ – مار قليميس يوحنا عبه جي مطران القلاية البطريركية .

٤ – مار ايونيس يوحنا كندور النائب البطريركي السابق في ماردين .

٥ – مار يوليوس الياس قورو القاصد الرسولي في الهند .

٦ – مار طيمثاوس توما ارزاوغلي مطران طور عبدين .

واعتذر لأسباب متنوعة مطارنة ديار بكر عبد النور بسبب الشيخوخة ومطارنة الهنود :

١ – مار ديونيسيوس ميخائيل مطران كوطايم .

٢ – مار ديونيسيوس كوركيس .

٣ – مار اثناسيوس بولس مطران انكمالي وكوتشين .

٤ – مار ديوسقوروس توما مطران الكناعنة .

٥ – ومار قورلس ميخائيل النائب البطريركي في مصر .

وبدأت أعمال السنودس التمهيدية في العاشر من تشرين الثاني ١٩٣٢ بدراسة الأجوبة الواردة من الأبرشيات رداً على أسئلة نيافة القائمقام، والنظر من ثم في مصالِح الكنيسة عامة،

وتناولت أبحـــاثهم استعراض القوانـــين اللازمة لِخير الكنيسة وبنيانِها، وبعد مداولات كثيرة رتبوا مائة وأربعين قانوناً تناولت البطريركية والمطرانية والكهنوت والرهبانية والأسرار المقدّســة والعبادة والسنودس والمجلس المختلط والمدرســة الأكليريكية والمدارس والجمعيات وتركة الأكليروس والأعياد، كما نظموا حدود الأبرشيات، ثُم اتَخذوا ما عدا هذه القوانين أربعة عشــر قراراً بالإجــــماع وكانت كل هذه التدابير عبارة عن تَمهيد لسن دستور الكنيسة الجديد فيما بعد.

وبعد الفراغ من هذا بدأوا يفكرون في الإنتخاب البطريركي، فكتبوا أولاً إلى مطران ديــار بــكر الشــيخ مار ديونيسيوس عبدالنور فأبــرق هذا فوراً معلناً ضمّ صوته إلى أصوات أكثرية الآباء، كما كتبوا إلى الأبرشيات الشاغرة التي لَها حق الإنتخاب وهي أبرشــيات : ماردين والقــدس والموصل ودير مار متى، فأرسلت أصواتَها في مغلّفات مغلقة ومَختومة.

ودخل الأباء في ١٦ كانون الثــاني ١٩٣٣ كنيسة السيدة

العذراء أم الزنار وجلسوا في صفين أمام المذبَح، ثُم وزّعت أوراق الإنتخاب على الآباء، فكتب كل منهم اسم الْحبر المنتخب ووضعها بيده في الكأس الفضية وفُحصت من قبل الآباء كما تليت الرسائل المختومة فأسفرت النتيجة عن فوز المطران افرام برصوم بأربعة عشر صوتاً من أصل خَمسة عشر وحاز مار اثناسيوس توما قصير صوتاً واحداً هو صوت المطران برصوم وهنا نَهض مار اثناسيوس توما مقدّم الآباء وتقدّم من الْمنتخب وسأله قائلاً : هل يرضى بقبول الرتبة البطريركية السامية وتدبير الكنيسة بِحسب القوانين الرسولية؟ فأجاب: بعد الإتكال على الله أوافق على ذلك. وهنا وقف جَميع الآباء من كراسيهم فرحين وقدّموا الْخضوع لنيافته، وأعلن مقدّم الآباء النتيجة لِجمهور المؤمنين المنتظرين بلهفة في الْخارج، فعلا الْهتاف والتصفيق ودقّ جرس الكنيسة. وكتب صك الإنتخاب بالسريانية أمضاه جمِيع الآباء المشاركين في الإنتخاب. وارتدى الْحبر المنتخب البدلة الْحبرية وتناول العكاز والصليب وكانت

كنيسة أم الزنار قد ضاقت بالمؤمنين الفرحين الذين بعد أن باركهم البطريرك الْجديد صعدوا به إلى الصالون بالأناشيد حيث بارك الْجميع، وأخذ الرسميون علماً بكل ذلك. وتعيّن يوم التنصيب صباح الأحد ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣. وفي الوقت المعيّن ضاقت الكنيسة وباحتها بالحشود الوافدة من سوريا ولبنان والعراق وفلسطين، وفي الكنيسة تقدّم اثنان من الآباء وسأله المطران توما قصير الأقدم رسامة: "روح القدس يدعوك لتكون بطريركاً، أعني أباً للرؤساء على مدينة انطاكية وولاية كرسيها الرسولي كلها أعني أباً لِجميعنا". فانحنى المنتخب أمامهم وأجاب: "إنني راضٍ وقابل" وابتدأ القداس الذي شارك به جَميع الآباء وبالتالي بِحفلة التنصيب وكانت بغاية الْخشوع، وتُليَت الصلوات الخاصة لا سيما صلاة "أقليميس" الْخاصة برسامة البطاركة، وأعلن مار اثناسيوس توما اسمه الجديد قائلاً: "قد نصب في بيعة الله المقدّسة مار اغناطيوس افرام الأول بطريركاً للكرسي الرسولي الإنطاكي

بإسم الأب والإبن والروح القـــدس " وهنا ضجّت الكنيســة بالزغاريد والتصفيق والْهتاف المتواصل تعبيراً عن الفرحـــة التي فاضت في قلوب جِميع الْحـــضور، ثُم أُجلس المرتســـم على الكرسي البطريركي ورفعه الأحبار هاتفين ثلاثاً "اكســـيوس، يستحق أبـــونا مار اغناطيوس وردد الأكليروس ذلك ثلاثاً، ثُم سلّم الأحبار قداسته عكاز الرعاية بدءاً من أحدثهم رسامة حتى الأقدم، وتقدّم من ثـــم المرتســـم وأمسك بالعكاز ويده فوق الجميع ثـــم سحب الأحبار أيديـــهم وبقي بيده وحده، وأخذ بيمناه الصليب الذهبي وبارك الْحضور واعتلى العرش البطريركي وفاه بعظة استهلها بـــالآية الإنْجيلية الكرِيمة: "أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو ١٠ : ١١) وختم البطريرك الجديد القدّاس، ثُم خرج من الكنيسة بِموكب مهيب يَحف به الأحبار الأجلاء والأكليروس والشعب الغفير، وقدّمت له الْهيئات الرســمية والدينية التهاني معبّرة عن فرحتها بِهذا الْحدث التارِيخي الفريد .

وفي اليوم التالي عكف على تنظيم إدارته الكنسية في سائر الأبرشيات الخاضعة لرئاسته، وبدأت المتاعب الحقيقية التي تصدى لها البطريرك الشاب بصبر وقوة احتمال. وأصدر أول منشور عام للكنيسة ورعاتِها، وأعاد ترتيب الأبرشيات والمسؤولين فيها فعين مار غريغوريوس جبرائيل انطو مطراناً لأورشليم مزوّداً إياه بِمنشور بطريركي كما عيّن برأي السنودس مار اثناسيوس توما قصير مطراناً للموصل بناءً على طلب أبناء الأبرشية، والمطران مار ايونيس يوحنا كندور مطراناً لبيروت ودمشق والمطران يوحنا عبه جي مطراناً للجزيرة والفرات، ويوم ١٠ /٩/ ١٩٣٣ رسم الراهب يوحنا المنصوري مطراناً للقلاية البطريركية وقدّس الميرون لأول مرة في ١٣ /٤/ ١٩٣٣ في كنيسة السيدة العذراء أم الزنار.

كان رحِمه الله مربوع القامة، نِحيف الجسم في فتوّتِه وشبابه حنطي اللون مشرب بِحُمرة خفيفة له عينان عسليتان ذكيتان، مُحدثاً لبقاً مثل جِميع آل برصوم بل بزهم جَميعاً، وقد

حضرتُ له خلال خدمتي له كأحـــد أمناء ســره (١٩٥١ - ١٩٥٦) عدة لقاءات مع شــخصيات مُختلفة فإذا كان الزائر شخصية كبيرة مثل رئيس الجمهورية السابق هاشم الأتاســي حلّق وأجاد، وإذا كان الزائر شــخصاً عادياً داراه في عقــليته وتفكيره. وكان شديد الحرص على وقته، لذا كان يُشعر الزائر بإشارة من يده بأن وقته قد انتهى فيغادر بِهدوء، ولا يرضى أبداً بأن يُظلم أحد أو جَماعة فيدافع ويتدخل حــتى يعود الحق إلى أهله. وقد اشتهر بأناقته لا سيّما أيام شبابه فلا يتعامل مثلاً إلاّ مع مخازن غماريللي المشهورة في روما، إلاّ أنه في ســنواته الأخيرة أهمل هندامه، بل أصيب بنوع من الإحبــاط، لذلك كنا نعجب الراهب زكا[٤] وأنا كيف أن هذه الشخصية الشــهيرة بالأناقــة والنشاط والعطاء العلمي والحيوية ينرفز لأتفه الأسباب ويبدو لا مبالياً، وكانت الرسائل تتكدّس على طاولته الصغيرة المتواضعة

---

٤) التحق قداسته بِخدمة البطريركية بعدي بقليل في الْخمسينات .

وتنتظر لأسابيع حتى تجد في الأخير جواباً سريعاً ومقتضباً وعندما كنا نشير إليها كان يُجيبنا بالسريانية :

وخطاياي أمامي في كل حين، وهي آية من المزمور لداود النبي. والآن وقد بلغنا العمر ذاته فقد كان في حينه يقترب من السبعين، وها نحن نقترب من السبعين فإننا نعاني نفس المعاناة، ربّما لأن العمر يفعل فعله، والسنوات هي ذاتها تنال من الإنسان مثل البطارية، وبتنا نلوم أنفسنا لأننا لُمناه في حينه. كان البطريرك برصوم تقياً، يصلي جَميع صلواته في أوقاتِها ويؤمن بقوة الصلاة، وديع ومتواضع لذلك جَميع الذين اتَهموه في وقت من الأوقات بالعجرفة ظلموه، لَكَم كنا نرى غرفته البسيطة الصغيرة التي كنا نسميها القلاية أو المحبسة منيرة في انصاف الليالي، كان إما يصلي أو يطالع، شديد الإعجاب بالآباء المشهورين، وقد مدحهم في ديوان شعره الشهير والذي سَمّاه ''قيثار الثلوب'' وهو ديوان ثَمين ينطوي على الأمجاد السريانية كلها إذا صحّ التعبير، وكان برّد الله ثراه يسميني مازحاً ''كركري'' نسبة إلى

منطقة كركر السريانية بِجوار ملاطيةوبسبب الضيقات المتواصلة هاجرت عشيرتنا مثل سواها منطقة كركر إلى بلدة "حصن منصور" المسماة اليوم "أديمان"، وسكان كركر اشتهروا بطول القامة والأصوات الرخيمة والخط السرياني الجميل، لذلك كان رحِمه الله في سهراتنا يتلو بيتاً من الأبيات الشعرية لإحدى القصائد مثل :

لك يا منازل في القلوب منازل

أبداً على قمم العصور مواثل .

ثُم يسلمني الديوان قائلاً : أكمل يا كركري فكنت أتلو القصيدة بأكملها بلحن السكاه الذي كان يُحبّه فكان يترنّح ويطرب ولا سيّما إذا كان شقيقه الدكتور عبد الله وأفراد عائلته حاضرين خلال فصل الصيف. وكان يدخّن التبغ الحامي وقد أخذ منه ما يكفي لحاجته في صفيحة معدنية بِحجم علبة النيدو عندما سافر عام ١٩٢٧ إلى الولايات المتحدة الأميركية، وعندما اعترض بعض رجال الجمارك الأميركان على ذلك قال لَهم مازحاً:

أؤكد لكم بأني لن أتاجر بِها، فضحكوا وتركوه يَمرّ.

كانت له في بداية حياته الأكليريكية لحية سوداء خفيفة جداً، إلاّ أنه مع الأيام تكثفت ولَم يشذّبها أبداً مغطياً شفتيه الغليظتين البرصوميتين بشاربه وكان قد اصفر بسبب التدخين، وفوجىء على ما يبدو بغزو الشعيرات البيضـــاء للحيته الجليـــلة بسرعة فكتب مرّة إلى قاصده في الْهند مار يوليوس الياس قورو قـــائلاً: "إن هُمـــوم الْهنود من المتمرّدين قادتنا إلى شيخوخة مبكرة" وكان عندما أدركتهُ في أواسط الخمسينات يَمشي مَحـــدوب الظهر وكأنه ابن ثَمانين سنة. كان رحِمه الله يشكو من أسنانه منذ نعومة أظفاره ويكره الأطباء عموماً ويردّد دائماً بأن جسده نظيف وليس بِحاجة إلى علاج، وإنه لا يتذكّر بأنه حُقن بإبرة في يوم من الأيام، وكان طبيبه في حُمص الدكتور نجم الدين الجندي يزوره أحياناً إنّما كصديق ويستأنس بأحاديثه وكلها عادية ولا علاقة لَها بالطب، وهذا خطأ في رأيي لأن الجسم بِحـــاجة إلى رعاية وإلى إجراء بعض التحاليل الطبية عليه بين الحين والآخر،

ذلك لأنه ذات ليلة وبعد تناول طعام العشاء وهو يغادر قــاعـ
الطعام داخ وسقط و كسرت يده اليمنى، وتبيّن بأن ضغطه كان
قد ارتفع ولَم يبال بذلك، فلو أنه اكتشف ذلك بــاكراً وتناول
الأدوية اللازمة لَما وصل إلى ما وصل إليه، وطلبنا من صديقــه
الدكتور الجندي بأن يقــنعه في التخلّص من أســنانهِ المنخورة
واستعمال الوجبة فمانع في البداية ثُم رضيَ بــعد جدالٍ طويل.
فكنّا نَجتمع في الصالون محيطين بكرسيه و كان الدكتور الجندي
يَحضر ليُمسك يده فقــط والراهب برنابــا يشــرح له مضار
الأسنان الفاسدة وفوائد الأسنان الإصطناعية أما أنا فكان عملي
ان أضع بضع نقاط من عطر السوار دي بــاري الدارج أيامه
على قطعة من القطن وأقرِّبها من أنفه حــتى لا يُغمى عليه وهو
يُعَاينِ آلات طبيب الأسنان، وكان يراقبه طوال الوقت بــعين
وَجِلة، وهو يقلع الأسنان الواحد تلو الآخر وبصعوبة بالغة لأن
المرحوم كان يُمسك بيد الطبيب ولا يدعه يتحرّك بِحرية، ولَم
تنجح الوجبة .

كان شخصاً هاماً بالنسبة إلينا جَميعاً، فالواحد منا يَجب ان يحترم ويقدِّر شخصية من هذا الوزن أرسله الله لكنيسته ومُجتمعه هدية وسنداً.

كان برّد الله ثراه منذ بداية حياته الأكليريكية كشماس وراهب في دير الزعفران يَحلم بأن تكون للطائفة مدرسة لاهوتية راقية تثقّف مجموعة من الشباب وتعلِّمهم التعليم الديني اللازم حتى يعيدوا مجد الكنيسة وأن يقودوها إلى مراعي العز. كان وهو يدرِّس في بداية القرن العشرين (١٩٠٥ - ١٩٠٨) في المعهد الديني في دير الزعفران والذي أسّسه الطيّب الذكر المطران بَهنام سمرجي مطران الموصل أيام قائمقاميته يَحلم بأن يكون لنا معهد ديني راقٍ، إلاّ أن ظروف ونتائج الحرب العالمية الأولى القاسية التي كانت نتائجها وخيمة جداً على الطائفة بل على الجميع من جَميع النواحي كبّلته، فبالإضافة إلى الخسائر الفادحة في الأرواح (فقدنا حوالي ١٣٦ ألفاً) فإن التهجير وفقدان الأملاك لعب دوره وبات الناجون يفكرون بالدرجة

الأولى في كيف يبقون على قـيد الحياة أولاً، وبـالتالي كيف
يوفرون لأهلهم وسائل العيش الكريم، لذلك وما أن استقـرّت
الأوضاع بـعض الشـيء وعالج مع جُملة من عالج نتائج تلك
الكوارث البشرية بدا يفكّر جدّياً في الشروع بِهذا المشروع الْهام
فاشترى أرضاً في زحلة المشهورة بطيب مناخها وابتنى ديراً من
ماله الْخاص وانتهى العمل عام ١٩٣٤ وأصدر منشوراً إلى كافة
رؤساء الأبرشيات يطلب منهم بأن يشكلوا اللجان الخاصّة بِهذ
المعهد وأن يَجمعوا سـنوياً المال اللازم لتمويل وتغطية كافة
مصاريفه وبـدأ التدريس عملياً في آذار من عام ١٩٣٩ بـعد
صدور المرسوم الجمهوري اللبناني رقم (٤٠٥٦) وكان مديري
ومرشدي الراهب بولس بَهنام أول طالب ينتسب إلى هذا المعهد
وتبعه طلاب آخرون من مختلف المناطق حتى بـلغوا الثمانية. إلاّ
أنه ولأسباب عديدة لَم يَمشِ أمرها في زحلة فنقـلها رحِمه الله
عام ١٩٤٥ إلى مدينة الموصل المثقفة والتي أحاط شعبـها المؤمن
والغيور والكرِيم بالمعهد بسور من الْمحـبّة والرعاية المخلصة

والتقدمات المختلفة وتطوّع للتعليم فيه عشرات الأساتذة فنجحت وأعطت أشهى الثمار وأنا أعتز وأفتخر بأن أكون إحدى تلك الثمار الشهية وذلك بفضل رعاية وعطف هذا الأب الرسولي العظيم الذي وزّع أعماله الرعائية قسمين القسم الأول بذله للكنيسة ككل والقسم الثاني أعطاه لِهذا المعهد الْهام الذي رشف من ينابيعه الصافية عشرات الطلاب السريان توزعوا على العالَم السرياني ومنحوه روحاً جديدة، ونَحن هنا نعترف بِجميل هذا الأب الأقدس ولن ننسى جهوده المشكورة ما دمنا على قيد الحياة.

بالإضافة إلى أعماله الرعائية والإنسانية اشتهر هذا الأب الأقدس بعلمه الغزير وعُرف في الأوساط العلمية كعالِم يُجيد عدّة لغات كتب بِها وألّف الكتب التي سدّت حاجات المكتبات ودور العلم مثل كتابه "اللؤلؤ المنثور" و"قيثار القلوب" وهو ديوان شعر رائع و"الألفاظ السريانية في المعاجم العربية" و"تاريخ الكنيسة" وسواها ولأنه هضم مادة التاريخ الكنسي

دُعيَ عن حق ''أبو التاريخ الكنسي'' وكان يُشاهَد وقـد انحنى
ظهره على الورقة وبيده القلم يكتب على ركبته كما كان يفعل
السابقون بِجَلَدٍ عجيب ولا يترك الورقة إلاّ وقد فاز باكتشاف
علمي جـديد، يسـاعده في ذلك إطّلاعه الواسع على مئات
المخطوطـات النفيسـة من سريانية وعربية في سائر المكتبات
الكبرى في الشرق والغرب والعالَم الجديد، حتى أصبح حجّة في
هذا المضمار، وعَرفَت الْمحافل العلمية نبوغه وعبقريته ومواهبه
فاعتبرته حجّة في مواضيع التاريخ الشرقي لذلك كانوا يستشيرونه
ويكتبون إليه فكان يجود عليهم بالأجوبة المقنعـة وينقذهم من
ورطات علمية وتاريخية عديدة بل يرد عليهم بقسوة في بعـض
الأحيان لا سيما إذا هم تجنوا على آبائنا الكبار عن قصد أو عن
غير قصد. وقد عيّنته جامعة شيكاغو عضواً في المعهد الشرقـي
فيها، وذلك على أثر المُحاضرة النفيسة التي ألقاها على مئات الطلبة
والأساتذة في موضوع التاريخ السرياني وأصول اللغة السريانية
قديمـاً وحديثاً وذلك خلال زيارته لِهذه الجامعة عام ١٩٢٧،

كما انتُخِب عضواً مراسلاً في الْمجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٣٢ فأفادت من بحوثه القيّمة هاتان المؤسستان العلميتان فوائد جَمّة .

في حياته المباركة، حاول بعض التافهين الإساءة إليه عن طريق إصدار بعض المنشورات الْمحشوّة بالأضاليل والمغالطات والشقشقات، إلاّ أنّهم جَميعاً خابت مقاصدهم وانحرفت سهامهم لتعود وتغوص في صدورهم المليئة بالأحقاد، أذكر منهم على سبيل المثال الشيخ الخرفان حنا عبدلكي الذي أصدر كتاباً إسمه "الصوت السرياني" حشاه بالأضاليل ونشره له شخص موتور ينتمي إلى إحدى المنظمات المشبوهة وإسْمه فريد الياس نزها حَموي الأصل ومن سكان الأرجنتين اقتنى شبه مطبعة كانت بِمثابة المعول يُحاول بِها هدم كل شيء يصادفه، في شبه مجلة سَماها "الجامعة السريانية" تنشر الأضاليل عن طريق مراسلين موتورين أحدهم كان أكليريكياً يقطن في بيروت، ولأن رحَمات الله عليه كان أنوفاً مرّ بِهؤلاء الموتورين والحقدة

مرور الكرام وكان يردّد قائلاً مثل أيّ مسؤول حكيم: "إعملو ما ترونه حقاً واتركوا الباقي على الله". مرة واحدة فقــط ردّ على نزها المرحوم المطران بولس بَهنام قائلاً: لقد قلت اســتناداً إلى مصادر موثوقة (تقصد موثوق بِها) .. وكأنه يقول له تعــلّم العربيــة أولاً ثُم أكتب، مُفنداً ما وصــل إليه من مغــالطات وأكاذيب من بيروت قائلاً: "هذه أول وآخر مرة أكتب لك، إذ ليس عندي وقت أضيّعه معك".

إن كنيستنا الســريانية كانت رائدة في منح العلماني دوراً يعمل فيه ويَخدم، وكذا الأمر بالنسبــة إلى الصحــافي، ولكن التجربــة لَم تكن ناجحــة مائة في المائة فالعلماني الذي عرف حدوده وخدم بتجرّد وإخلاص، وعاون رجل الدين في أعماله كعضو في إحدى المؤسسات أو كوكيل للأوقــاف مثلاً ونَجح استحق الثناء وكذا الأمر بالنسبة إلى الصحافة فالصحــافة التي التزمت بقوانين النشر وآدابِها ونشــرت ما ينفع ويبــني، وهي معروفة فإنّها دخلت التاريخ واستحقــت الثناء أيضاً، أما التي

سارت على سياسة : ''خالف تُعرف ‘‘ أو ''يا كاسر مزراب العين ‘‘ فإنّها التحفت بالفشل. ولا أريد هنا أن ادخل في التفاصيل وأذكر بعض الصحافيين الفاشلين بالإسم، كل ما أريد أن أقوله عفا الله عنا وعنهم ويا ليتهم امتهنوا غير الكتابة.

كان البطريرك إفرام برصوم حساساً جداً بالنسبة إلى ما كان يكتب عنه، فإذا لَجأ الكاتب إلى الحقائق بتجرّد سرّ وهنأه على جهوده أما إذا تجنى عليه وشوّه أقواله وحرّفها فإنه ما كان يسمح له بدخول دار البطريركية ثانية، خاصة السريان الْهنود الذين كثيراً ما شوّهوا أقواله وقوّلوه ما لَم يقل وكانوا في غالبيتهم من خصوم الكرسي الإنطاكي.

الجميع يعلم بأن مؤلفات البطريرك افرام برصوم كثيرة، إلاّ أن الموت لَم يُمهله لإكمالِها أو نشر ما اكتمل منها، وكان – طيّب الله ثراه، لا ينشر شيئاً دون الرجوع إليه مراراً حتى يستوفي شروط التدقيق والتحقيق العلمي المطلوب، ولأنه رقد فجأة وهو في السبعين فإنه ترك في أعناقنا أمانة تَحقيقها ونشرها. وكان

المرحوم المطران بولس بَهنام أحد مريديه المخلصين والمؤهل أكثر من سواه للقيام بِهذا العمل إلاّ أن هذا أيضاً نقلهُ الرب إليه وهو دون الستين تاركاً في القلوب غصّة وفي العيون دمعات .

وهذه بعض كتب هذا البطريرك العلامة والعبقري .

١ – "اللؤلؤ المْنثور" إنه أهم كتبه على الإطلاق استغرقت كتابته أكثر من خَمسين سـنة وهو يصلح ليكون أساساً لدائرة معـارف سـريانية، ذلك لأن كل موضـوع من مواضيعه يصلح لأن يكون كتاباً كاملاً .

٢ _ "تاريخ الأبرشيات السريانية" .

٣ _ معجَم عربي سرياني، غير كامل .

٤ _ ذيل لغوي سرياني .

٥ _ تاريخ كنسي مُختصـر من عام ١٩٠٠ إلى يوم رقاده عام ١٩٥٧ بالسريانية .

٦ – تاريخ بطـاركة انطـاكية ومشاهير الكنيسة السريانية بالعربية .

٧ - صلوات تشييع الموتى بالسريانية، مترجماً بعض الصلوات الضرورية منه، معتمداً بذلك على عدة نســـخ قـــدِيمة، وأعدّه للطبع .

٨ - طبع كتاب العماد .

٩ - طبع كتاب بركة الأكاليل .

١٠ -نقل إلى العربية عشر ليتورجيات للقدّاس ولكنها لَم تطبع.

١١ - تاريخ طور عبدين بالسريانية، عرّبه المطران بـــولس بَهنام وطبع.

وهذا نَموذج من ترجَماته من السريانية وهي عبـــارة عن حساي يتلى في بداية القدّاس .

ܦܪܘܡܝܘܢ

الْحمد للقربان الطاهر الذي أضحى كاهناً لذاته، الشـــكر لرئيس الأحبار القدوس الذي غدَا ضحـــية مقبـــولةً لوالده عن رعيته، الْمجد للحمل المبـــارك الذي امتد على أجنحـــة الصليب لِمحبته، وأنقذ الأمم والشعوب بتضحيته، الذي به يليق الْحمد

والوقـــار في هذا وقت تقديـــم الذبيحة الإلَهية وفي سائر الأعياد والأوقات أيام حياتنا كلها إلى الأبد .

هـــوذا

أيها الإله الكلمة السامي الماسك الســـماء بقبضته ويَحمله للغفران الأرضيون في اكفهم، أيها الجبار الذي ترتعد من بَهائه طغمة الكاروبيم الرهيبة وتتنعم بِجســـده البيعة وأولادها، أيها السني الذي ترتَجف منه زُمَر الســـاروفيم ويغذي بـــه البشـــر الترابيون، أيها الحليم الذي لا يصيب جوده تبديل ولا يطرأ على حبريته تغيير، يا عنقود الحياة الذي عصره الصالبون ولَم يذوقوه واقتبله المؤمنون ولَم يســـتبدلوه، أيُها الخبز الســـماوي الذي لا يَجوع آكلوه والشراب الروحي الذي لا يعطش شاربوه والثمرة التي تؤتي متناوليها حـــياة لا تَحـــول والْمَعين الذي يورث من يشرب منه سعادة لا تزول، اللذيذ الذي يؤكل كل يوم ولا ينفد ويُشـــرب كل يوم ولا ينضب ويُجزّأ في كل آن ولا يَموت

ويُعطى في كل حين ولا ينقص، الحي الذي يُسر بــه المعترفون ويَخجل منه الباحثون عنه، إليك أيُها الإله العلي وغير الْمحدود نبتهل على هذا عرف البخور ونسأل رأفتك الفائقة وصفُها أن تَمنحنـــا إدراك عظمة القيـــام أمام مذبحك المقـــدّس وتُخولنا بفضلك بصائر تتبصّر فيك وآذاناً روحية تَعي أوامرك وقلباً نزيهاً يتضرّع إليك بِخلوص النية وأفكاراً نقية تُســـر لاهوتك وأيدي نقية تَخدم أسرارك وشفاهاً طاهرة تَمتدحك شاكرةً وألســنة عفيفة تُمجّد لإسمك وأفواهاً مقدّسة تتناول جســـدك ومذاقـــاً روحياً يلتذ بدمك لكي يُشبع جوعنا في كل ســـاعة من فيضك ويروي ظمأنا من عذوبة معينك فنسبحـــك في كل آن بـثمار شفاهنا ونشدو لك بتسابيح ألسنتنا ونعظمك بإيــمان صادق ونبتهج بك نحن وأمواتنا المؤمنون معاً ونرفع إليك هُتاف المديح والشكران وإلى أبيك وروحك القدوس الآن وكل آن وحـــين وإلى أبد الآبدين آمين .

هذه بعض كتابات هذا الْحبر الفهّامة الذي أغنى الكنيسة

بمؤلفاته النافعة، طبع بعضها وما تبقى وهو كثير ينتظر النشـر، رحِمه الله

كان – نفعنا الرب بـأدعيته المقبـولة – يَميل إلى الإنفراد والعزلة، مفضلاً إياها على الزيارات والإستقبـالات والضجيج الذي اشتهر به السريان كشعب عاطفي يُحب قادته الروحيين ويتعلّق بِهم، وكان يكره بـنوع خاص إطلاق الرصاص في الإستقبـالات وكانت عادة جارية لغاية منتصف هذا القـرن بالإضافة إلى المدائح والأشعار، إذ كان رجلاً زاهداً لا يطمع في أجر إلاّ من الله تقدّس اسمه، ولكنه لَم ينجح مائة في المائة، ولَكَم رأيته يسكت المدّاحين مكتفياً بالْمحـبّة الصامتة الصادرة عن القلب والوجدان .

كان يُحب بنوع خاص الأطفال الأبرياء، وقد أخبرني أهلي بأني كنت ابن سنة تقريباً عندما صادفتني هذه الْحادثة معه، فقد كانت جدّتي لأمي تـأتي بي يومياً إلى كنيسة السيدة العذراء أم الزنار في حُمص، التي في جرنِها نلت سر المعمودية المقدّس وكان

ذلك بعد ارتقائه سدة البطريركية بقليل، وإذ كان ذات يوم خارجاً مع الأحبار الأجلاء من الكنيسة، وكان المؤمنون من الحضور يقفون عادةً بالصف خارج الكنيسة لينالوا بركة الأب الأقدس، مددت يدي نَحوه وكأني أردته أن يَحملني، فتقدّم مني ضاحكاً وربت بلطف على وجهي فأمسكت بالسلسلة التي كانت تَحمل صليبه وبدأت ألْهو بِها، فضحك وتركني لبعض الوقت، وفجأة تقدّم منا المرحوم المطران يوحنا عبه جي وحاول إبعاد يدي عن السلسلة فقال له رحِمَه الله: دع الطفل وشأنه إذ ربّما صار في المستقبل مطراناً مثلك.

وقال للمرحوم والدي إلا تلاحظ بأن أبناءنا من سكان قرى حُمص نادراً ما يطلقون على أولادهم اسم افرام مع انه اسم جَميل، أما أنت فإذا رزقك الله صبياً فسمّه افرام، وهكذا كان.

ولنعد إلى رحلاته التي كانت تُبهج المؤمنين ويتمنون دائماً أن تطول وكانت أولى زياراته الراعوية لقرى حُمص، وذلك في أيار من عام ١٩٣٣ بارك فيها فيروزة وزيدل، وفي تشرين الثاني

من نفس السنة بارك صدد والْحفر والقريتين. وقبل أن يصل إلى صدد نظم قصيدة يَمتدح فيها هذه القرية التارِيخية ويقول :

يا رايحين لصدد أهدوا لي التحية

إلى المشايخ والزمرة الكهنوتية .

وبعد وصـــوله إلى هذه الضيعـــة جلس في المنـــزول الذي ضاق بالمؤمنين ورتلها بلحن هزّ فيهم المشاعر والأحاســـيس، ورفعوا أصواتَهم بالدعاء له بطول العمر.

وفي تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ بارك حلب وكانت النية أن يقيم فيها بصورة دائمة، إلاّ أنه وبعد خَمسة أشهر فضّل العودة إلى حُمص.

وفي أيار سنة ١٩٣٦ قام برحلة إلى العراق، فبارك الموصل وقراها، ودير مار متى، ثُم دعته الحكومة إلى زيارة بغداد وكان موضع إعجاب وتقدير في جَميع الأوساط فيها، وفي زيارته هذه كرّس كنيسة بغداد في ٥ حزيران ١٩٣٦ وبعد مكوثه في العراق زهاء شهرين عاد إلى حُمص مودعاً باحـــترام العراقـــيين على

مُختلف ملَلِهم .

وفي أيار وحزيران ســـنة ١٩٣٧ تفقّد أبرشـيَتيَ حـلب والجزيــرة وقراهـا، وفي حزيران من عام ١٩٤٤ بارك قداسته زحلة ومكث فيها بضعة أيام عاد بعدها إلى حُمص .

وفي أيار وحزيران من عام ١٩٤٥ بارك العراق بزيارة ثانية، اتفق فيهـا على نقل المعهـد اللاهوتي من زحلة إليها ورحّب المواصلة بذلك ونَجحت نَجاحاً باهراً بسبب تفاني أهل العراق بِهذا المعهد الهام الذي أهدى الكنيســة مَجموعة من الطلاب النـابِهين الذين ما زالت الكنيســة تنتفع من نَجاحـاتِهم وفي مقدمتهم قداسة البطريرك زكا الأول وزملاؤه.

وفي أيار من عام ١٩٥٣ قام بـزيارته الأخيرة لأبرشـيتَي حـلب والجزيرة، وفي ٦ أيار كرّس كنيسـة مارجرجس بحَي السريان، ثُم زار مدن الجزيرة وقراها وعاد عن طريق حلب إلى حُمص حيث أصدر ديوان البطريركية كراسـاً وصف فيه هذه الرحلة .

وفي أيــار من عام ١٩٥٤ زار دمشق وكرّس كنيستها التي على اسم مار جرجس وكان موضع حفاوة رســمية وشعبية. وقد قام قداسته فيما بعد بــزيارات رســولية أخرى لبــيروت. ودمشق وحلب وقرى أبرشية حُمص، وكان في جَميعها يقــيم الإحتفالات الدينية ويعظ الشعب مُجدداً نشاطه الروحي.

عندما تبوأ قداســته الكرسي الإنطــاكي كانت معظــم الأبرشيات السريانية شاغرة، فراح يعمل بصبر وهدوء على ملء الشواغر، ورسم "١٥" مطراناً هُم :

١ - مار ديونيســيوس يوحــنا المنصوري رسمه مطراناً نائبــاً بطريركياً للقلاية البطريركية في ١٠ أيلول عام ١٩٣٣ ثُم نقل إلى أبرشية دير مار متى في حزيران ١٩٣٥ وفيها توفي عام ١٩٤١ .

٢ - مار اوسطاثيوس قرياقس رسم أولاً مطراناً نائباً بطريركياً في ١٦/ ٣/ ١٩٣٨ ومطراناً للقلاية، ثُم طلبته أبرشية الجزيرة والفرات فسافر إليها وتوفي فيها في ١٠/ ١٢/ ١٩٨٨ .

٣ - مار فيلكسينوس يعقــوب الصلحي رســـمه مطراناً في ٥/ ٣/ ١٩٣٩ وعيّنه نائباً بطريركياً لأبرشية القدس التي توفي فيها سنة ١٩٤٦ .

٤ - مار طيمثاوس يعقوب رسم مطراناً لأبرشـــية مار متى في حزيران ١٩٤٦، وتوفي عام ١٩٦٦ .

٥ - مار غريغوريوس كيوركس رسم لأبرشـــية انكمالي في ملبار في آب ١٩٤٦ وتوفي عام ١٩٦٦ .

٦ - مار سويريوس بولس مطراناً رسم لأبرشـــية كوتشـــين الملبارية في آب ١٩٤٦ .

٧ - مار اثناسيوس يشوع صموئيل رسم لأبرشية القدس عام ١٩٤٦ وغادرها عام ١٩٤٨ إلى أميركا واثبته المجمع المقدّس عام ١٩٥٧ وتوفي عام ١٩٩٤ .

٨ - مار فليكسينوس يوحنا دولباني رسم لأبرشية ماردين عام ١٩٤٧ وتوفي عام ١٩٦٨ ودفن في دير الزعفران .

٩ - مار سويريوس يعقوب رسم لأبرشية بيروت ودمشق في عام ١٩٥٠ وتوفي عام ١٩٨٠ ودفن في دمشق وهو بطريرك .

١٠- مار ديونيسيوس جرجس رسم لأبرشـيـة حـلب في عام ١٩٥٠ وتوفي عام ١٩٩٢ .

١١- مار قليميس ابراهيم وايالا رسم لأبرشية الكناعنة في الْهند في عام ١٩٥١ وما زال حياً أطال الرب بقاءه.

١٢- مار غريغوريوس بولس بَهنام رسم لأبرشية الموصـل في ٦/ ٤/ ١٩٥٢ وتوفي عام ١٩٦٩ في بغداد .

١٣- مار ايوانيس افرام رسم أسقفاً لأبرشـيـة طور عبدين في ٦/ ٤/ ١٩٥٢ وتوفي عام ١٩٨٤ ودفن في دير مار كبريال.

١٤- مار فليكسينوس بولس شراي رسـم مطراناً لأبرشـيـة كندناط في الْهند في ١٩/ ١٠/ ١٩٥٢ وصـار مفريانـا وتوفي فيها.

١٥- مار ملاطيوس برنابا رسم نائباً بطريركياً ومطراناً للقلاية في ٦/ ٤/ ١٩٥٧ تقاعد في حُمص أطال الرب عمره.

إحتفل قداسته بتقديس الميرون أكثر من عشرين مرة، كان ولَها في ١٣/ ٤/ ١٩٣٣ في كنيسة أم الزنار بِحُمص .

وعقد أربعة مَجامع :

ولاً - في عهد قائمقـــاميته في حُمص وذلك للنظر في امور الكنيسة وانتخاب بطريرك جديد خلفاً للطيب الذكر البطريرك ياس الثالث الراقد في الهند في بداية عام ١٩٣٢ .

انياً - التأم هذا المجمع عام ١٩٣٤ بـــصورة خاصة للنظر في ضية الْهند المستعصية، وحضر إحدى جلســـاته رئيس الحزب لمخالف الذي رفض تصحيح رسامات البطريرك المعزول عبــد لمسيح وعاد إلى بلاده مع مرافقيه خائباً. وبَحث أباء الْمجمع في واضيع كثيرة تَهمّ مصلحة الكنيسة وخرجوا بنتائج طيبة .

الثاً - عُقد هذا الْمجمع في حُمص في ٧ كانون الأول من عام ١٩٤٠ عُدِّل خلاله بعض الأصوام .

إبعاً - عُقد هذا الْمجمع في تشرين الثاني عام ١٩٥٤ وفيه أمر الإحتفال بعيد الميلاد بِحسب الحســـاب الغربي أي في الخامس

والعشرين من كانون الأول وإلغاء الحساب الشرقي ما عدا عيد الفصح وصومه .

ومن أهم إنجازات هذا الأب الأقدس اكتشافه لزنار السيدة العذراء، وكنت شاهد عيان لذلك في نيسان ١٩٥٣ عندما كان يتصفّح طيّب الله ثراه بعض المخطوطات القدِيمة وعرف مكان وجوده تَحت المذبَح وأظهره للوجود، فغمرت الفرحة العالَم بأسره، وما زال عشرات الآلاف من المؤمنين يزورون هذه الكنيسة التي تعتبر من أقدم الكنائس في العالَم وذلك لمشاهدة هذا الأثر الفريد والتبرّك منه وذلك بعد التأكد من قدمه .

وأما حبّه لأرض بلاده العربية والدفاع عن حقوقها فبادية للعيان منذ البداية فقد دافع عن حق العرب منذ عام ١٩١٩ وما بعده ومواقفه الأخرى وخطبه البليغة في شتى المناسبات معروفة كلها، ومعروف أيضاً عدم مهادنته للمستعمر الفرنسي وقادته الذين توافدوا على بلادنا مثل الجنرال غورو وغبريال بيو والجنرال كاترو والجنرال ديغول وسواهم مِمّن عُرفوا بالغطرسة

الإستعمارية الجوفاء والذين كانوا يبـطنون الكراهية لنا، فكان رحْمة الله عليه يُجابِههم بِجرأة ولا يطلب منهم شيئاً، والجميع كانوا يلتمسون رضاه ويزورونه في دار البطريركية وقد نسي أحدهم كفوفه وهو ينصرف بعد أن نال ما ناله من توبيخ قداسته، وقال لآخر عندما سأله عن رأيه في سياسة فرنسا في سوريا فأجابه : إنّها تشبه الطريق التي جئت منها قبل قليل، وكانت مليئة بالطين والحفر.

وأكبر برهان على وطنيته الثابتة ومكانته العليا خطبته الشهيرة التي ألقاها قبل رقاده بِحوالي شهرين وبالتحديد يوم ٢٢/ ٤/ ١٩٥٧ ونقلتها الإذاعة السورية وقد سمعتها وأنا في حلب، وهذا نصها:

نَحمد الله جلّ ثناؤه حَمداً جزيلاً ثُم نقول:

أيها الأبناء الروحيون المؤمنون

إن أشرف الأيام وأبهى المواسم التي تفتر لَها الثغور البواسم، يوم تَجلّت فيه أعطاف القلوب بألطاف كماله، هذا

اليوم الذي لمعت بارقة السعادة من أطرافه وأسفرت درّة الحقائق من أثناء أصدافه، أشرف الأيام قدراً وأنبـــه الأزمان ذكراً. هذا العيد السعيد بل أبـــهج أعيــــادنا وأجلّها وأكبرها وأفخرها وأجدرها بالتعظيم وأحقها بالتكريم، عيد قـــيامة ربّنا وســـيدنا المســـيح جلّت عظمتــــه عيد النصرانية الأكبر وموسمها الأزهر والأشهر، عيد انتصار سيّدنا وفادينا المسيح على الموت والخطية.

فـــافرحوا بهِ وابتهجــوا وهللوا ورنّمــوا ورتــلوا ترتيلا ولاكتحـــال عيونكم بِمشـــهده أحــمدوا الله واياه فاشكروا شكراً جزيلاً، جعلهُ الله مباركاً عليكم ميمون النقـــائب موفور المبـــاهج وأعاده عليكم وأنتم بـــمراضي الله ناعمون وبمواطن العوافي والأمـــان راتعون وبوطنكم السوري السعيد فرحون. وبِما زيّنه الباري تقدّس اســـمه لنعماه أبداً شاكرون.

يا ســوريا الســعيدة بوركت موطناً جَميـــلاً آثاره بديعة حسناته، فالْحمد لله الوهاب الذي جعلك من خير مواطن الدنيا وأجلّها وأفخرها وأبْهجها وأطيبها مناخاً وثِماراً شتوية وصيفية

زكية طعومها وزهوراً زاهية ألوانها فواحة عطورها بـــوركت سوريا موطناً تسلسلت أنهارها وتوفرت عذوبتها فحـــق حمد الباري الكريم الذي ولاّك من خيرة مواهبه نصيباً صالِحاً وحباك منها سهماً وفياً .

بلاد الشام شـــامة الله في أرضه إليك تتطلّع مَمالك شتى فتغبطك بل تَحسدك لِما جَمع الله جلت نعمه فيك من مَحاسن البر والبحـــر وما خزّن فيك من هبـــات صالِحـــات وخيرات خالِدات، قد تنتهي الأيام ولا تستوفي وصفك ولا تفي حق نعتك، فيا أهل سورية أما بِحمد ربّكم فحدّثوا وعلى مواهبه لكم وسني عطاياه فاشكروه شكراً جزيلاً وبِحسن السيرة اســـتديِموا نعمه عليكم، يا سورية التي يحصى عددها ولا تُحصى مَحاسنها إنك لمغبوطة الغبطة كلها ، ومن أحرى بِمعرفة محاسنك حق معرفتها وقدّرها حق قدرها إلا أهلك الذين بخيورك ربيعاًوصيفاً وخريفاً ينعمون ، وقد صفا لك هذا الزمان فنعمت بعد يأس طويل أمده متطاول نكده في عدة قرون مضت وانقضت بحكومة جَمهورية

رسخ اليوم استقلالها وحفت طريقها بالديمقراطية فبورك لك بها ولا زالت العالي لواؤها والمنصور جيشها والبصراء حكامها إنّها سليمة طرائقها نيِّرة بصيرتها مسالِمة سياستها بصرها اللّه مراشدها .

يا أهل سوريا أمّا وطنكم فلا ترضوا عنه بديلاً وأما جَمهوريتكم فلا تستبدلوا بِها حكماً ، أدوا لَها رسومها وفرائضها مسرورين وأطيعوا أحكامها راضين وارفعوا بِحسن سيرتكم شأنَها تتم فيكم نعماها وتعذب في أفواهكم حلاوتها واشكروا اللّه الوهوب يزدكم من نعماه ويسبل عليكم من ستره حجاباً ويزدكم عدداً ويزيِّنكم بحلى التقوى ويعضدكم في صالح الأعمال ومن سلك سبيل الله القويم وجد من عونه ذخراً وسنداً، ومن سنده اللّه فلن يقوى طغيان على النيل منه والتنكيل به وتقويضه .

عباد الله اتقوا الله واستمسكوا بِحبله تجدوه في الملمات معيناً وفي النوازل منجياً وعلى الأعادي ناصراً نصراً عزيزاً .

اللّهُمّ أحط بعنايتك وتأييدك رئيس جَمهوريتنا واحـــرس وزراءها وأمراءها ونوابَها وحكامها واجعـــل العدل شعارهم والفضل دثارهم واحفظ السوريين برحمتك وعّمر بالأمن ديارنا وبارك في أموالنا وغلاتنا ولا تحوجنا إلا إلى بابك الكريم يا أكرم من دعي وأرحم الراحمين ".

ويوم الأحـــد المصادف ٢٣ حزيران ١٩٥٧ رقد بالرب في مدينة حُمص ، فكان لِموته رنّة حزن عميقـــة في جَميع أرجاء العالَم السرياني ، وبعد أن حنط جســـده الطاهر دفن في مقـــام خاص إلى جانب مذبح كنيسة أم الزنار ، نفعنا الرب بـــأدعيته المستجابة .

٥ - البطريرك يعقوب الثالث (١٩٥٧ - ١٩٨٠ +)

البطريرك يعقوب الثالث

١٩٥٧ - ١٩٨٠ +

ولد في ١٢/١٠/١٩١٢ في قرية برطلي القريبة من مدينة الموصل، وهي قرية قدِيمة ذكرها بعض المؤرخين الثقات منهم ياقوت الحموي في القرن الثالث عشر ، وقد انتقل إليها في القرن الثامن عشر سريان قرى سميل وباصخرا وباشبيثا ، فازداد عدد السريان فيها ، وكانت وما زالت لغتها السريانية باللهجة الشرقية أي لغة نينوى القدِيمة. وأقام فيها بعض الوقت المفارنة : اغناطيوس لعازر (١١٦٤+) وغريغوريوس يعقوب (١٢١٥+) وديونيسيوس صليبا (١٢٧١+) والعلامة ابن العبري (١٢٨٦+) وشقيقه برصوم الصفي الذي توفي فيها عام ١٣٠٧، وغريغوريوس متى بن حنو (١٣٤٥+) وقورلس يوسف (١٤٧٠+).

اعتنقت برطلي المسيحية باكراً ، يشهد بذلك شـــهداؤها الأربعـــون الذين جـــاء ذكرهم في كلندار ابن خيرون في الربع الأخير من القرن الرابع . وكان فيها خَمس كنـــائس : كنيسة ما احودامه المعروفة بالكبرى ، وكنيسة القديسة شموني المقابية، وكنيسة مار كوركيس ، وكنيسة الســـيدة العذراء والدة الآله ، وكنيســـة العذراء الْجديدة . كما كان فيها ثلاثـــة أديرة : دير ماركوركيس وكان آهلاً في بداية القرن الثامن عشـــر ، ودير شهداء برطلي الأربعين ، ودير مار يوحنـــا ابن النجارين وأخته ساره والذي اكتشف ذخائره العلامة ابن العبري وآثاره باقـــية لغاية اليوم . وقـــام في برطلي علماء بالعشرات ، كما كان فيها على مرّ العصور عشـــرات الْخطـــاطين الذين زيّنوا المكتبات السريانية بالمخطوطات الرائعة، رحِمهم الله وعطّر ترابَهم .

إمتـــاز سريان برطلي باستمساكهم بالإِيمان الأرثوذكسي كما اشتهروا بالتقوى والغيرة على بيوت الله والأوقـــاف واللغة السريانية فهم فضلاً عن اهتمامهم بكنائس قريتهم فقد أبـــدوا

هِمة عالية في أثناء بناء كنيسة دير مار متى واستملاك دير مار دانيال القريبين منهم ، فقد نقلوا على ظهور بغالِهم حجارة الكنيسة كما أكملوا بناء الْحوش المسمّى بإسمهم في الدير عام ١٨٧٤ وذلك بِمؤازرة سريان بعشيقة ، ولما ترأس هذا الدير الأب الخوري الياس اشعيا البرطلي بذل هِمّة مشكورة في تسجيل أملاكه وقراه في دائرة الطابو عام ١٩٤٥ بِمؤازرة وجوه الموصل مثل الدكتور عبد الأحد عبد النور وبطرس عبد الأحد موسى وسواهِما . بالإضافة إلى دير مار دانيال المسمى بدير الخنافس مع أراضيه عام ١٩٤٩على الرغم من اعتراض السريان المنفصلين على ذلك برئاسة المطران دلال ، فقد أفهم جانبناالحكام بأننا كنيسة وطنية قديمة بينما الطرف المقابل هم كنيسة حديثة تتبع الغرب وإرسالياتِهم المشبوهة ، فكانت النتيجة الحكم لصالِحنا . ولأن في كل زمان ومكان يُخلق يوضاس بشكل من الأشكال ، فإن يوضاس برطلي في القرن التاسع عشر كان القس "عبوقاشا "الذي أغراه الكاثوليك

وإرسالياتهم في العراق باعتناق الكثلكة ،وإذ أحسّت به المؤمنة
''شاني '' فإنها وهو في كنيسة القديسة شموني وجّهت إليه
كلمات نابية ووبّخته علانية أمام المؤمنين على خيانته لأبناء
قومه، فحرّم مذ ذاك على نفسه دخول كنيسة مارت شموني
وصلى مع القليل من أتباعه في علية ''حانو ''ونبذهم بقية سكان
برطلي نبذ النواة وأخيراً اغتصبوا كنيسة مار كوركيس بنفوذ
بطريرك الكاتوليك ''بنيّ''وبدعم من العثمانيين المرتشين، وكان
قد سبقهم في الخيانة أهل قرية قره قوش القريبة عام ١٧٩٠ الذين
كَثْلَك معظمهم، كل هذه الحقائق أكدها الربان زكا عيواص
أمين سر البطريرك يعقوب (قداسة بطريركنا اليوم) في كتابه
المرقاة المطبوع عام ١٩٥٨ .

إذن في هذه البلدة التاريخية ولد ونشأ شابا (عبد الأحد)
توما ماري وشموني ابنة اسحق متّوكا طراجي، وبعد ولادته
بأيام قلائل جرت حفلة عماده في كنيسة السيدة العذراء في
برطلي، ودعيَ اسمه في المعمودية '' شابا '' أي عبد الأحد .

وتعتبر برطلي أبرز قرية في أبرشية دير مار متى بالإضافة إلى بعشيقة وبَحزاني وميركي ومغارة، تَخرّج في السنوات الأخيرة العشرات من أبنائهـــا من الْمدارس العالية، وأبرز كهنتها الأب الخوري الياس شعيا والشاعر الأب يعقوب ساكا والعشرات من شبابها التحقوا في الأربعينيات بالمعهد اللاهوتي، اكليريكية مار افرام في الموصل، وتوزعوا بعد تخرّجهم على العــالَم السرياني، بين أسقف وراهب وقسيس .

أما صاحب الترجَمة فقد روّضه والده المرحوم على خدمة الكنيسة والتعلّق بأهداب الدين، فكان يبعثه إلى كنيسة السيدة العذراء الْمجاورة لبيتهم يدرّبه فيها على الخدم الكنســية وهو يومذاك في الخامســة من عمره وكان كلاهُما الأب والإبــن يَملكان صوتاً رخيماً ساعدهُما على اتقان الألحان الكنســية. وكان في السادسة من عمره عندما توفي والده فتزوّجت أمه مرة ثانية فاضطربت الأمور بين الأم والإبن وظلّت كذلك حتى آخر نسمة من عمرهُما، والتحق هو بــدير مار متى وهو في الحادية

عشرة من عمره فدرس العلوم الدينية وآداب اللغات السـريانية والعربية والإنكليزية وكان أشبينه الشماس يعقوب ساكا معلم السـريانية والعلوم الدينية في هذا المعهد الذي ترأسـه الراهب يعقوب موصليه (مار طيمثاوس مطران دير مار متى بعدئذٍ)، وفي عام ١٩٢٤ رسمه المطران يوحنا عبـه جي قـارئاً وفي ٦ آب ١٩٢٩ رقّاه البطريرك الياس الثالث إلى رتبة الأفدياقون. وقـد رأى المسؤولون في الدير بعد هـذا بأن لا يبقى فيه، فانْحدر إلى الموصل وعمل في ميدان البناء لوقت من الأوقات وكان البـنّاء الشهير عبودي طنبورجي الوجيه السـرياني الموصلي المعروف والقريب من البطريرك الياس الثالث يعطف عليه لسببـين، أولاً لأنه من أبنـاء الطائفـة، وثانياً لأنه كان يَملك صوتاً رخيماً، وكانت الورشة وعلى رأسها أبو متى تَهتزّ أعطافهم طرباً عندما كان شابا يرتل في خلال العمل بعض الترانيم السـريانية الحلوة فينصرف الْجميع إلى بيوتِهم سعداء. إلى أن وصلت ذات يوم من عام ١٩٣١ رسالة من جَمعية الترقي السريانية في بيروت تطلب

أستاذاً باللغة السريانية فوقـــع الإختيار على صاحـــب الترجَمة الذي سافر فوراً إلى بيروت والتحق بالْميتم السرياني أستاذاً للغة السريانية والدينيات، وفي نفس الوقت درس اللغة العربيةبشكل جيد على الأســـتاذ شـــعيا عطا الله من بيت شباب كما درس الإنكليزية وألَمّ بالفرنسية. وخلال وجوده في بيروت رأى سلفه البطريرك افـــرام الأول برصوم ما في نفسه من اســـتعداد لِحياة الرهبانية فاستدعاه إلى حُمص حيث اختبر علمه وعزمه واحتفل بعد ظهر يوم الأحد في ٢٠ تَموز ١٩٣٣ بإلباســـه الأســـكيم الرهباني المقدّس بإسم الراهب عبد الأحـــد وذلك في كنيســـة السيدة العذراء أم الزنار بِحمص وبِحضور المطران مار يوليوس الياس قورو القاصد الرســـولي في الْهند الذي صادف وجوده في حُمص في تلك الأيام، والذي التمس من قداسة البطريرك إيفاد الراهب الجديد إلى ملبار الْهند لمســـاعدته والعمل في كرم الرب الواسع فأجاب قداسته إلى ملتمس المطران قورو وأوفده صحبته في كانون الأول من عام ١٩٣٣ . وبـــعد وصولِهم إلى ملبـــار

الهند رسمه المطران قورو في ١٩/ ١/ ١٩٣٤ شَماساً إنجيلياً وفي ١١/ ٣/ ١٩٣٤ رقاه إلى درجة الكهنوت المقدّس وأسند إليه إدارة مدرسة اغناطيوس اللاهوتية التي كان نيافته قد أسّسها آنذاك، ولِمدة ثلاث عشرة سنة علّم فيها الربان عبد الأحد فتخرّج على يده أكثر من ستين طالباً صاروا كهنة ضالعين في اللاهوت واللغة السريانية والطقوس البيعية.

وفي عام ١٩٤٦ أذن له سلفه البطريرك افرام الأول برصوم بزيارة أهله، فأقام له السريان الهنود من معارفه وطلابه حفلة وداعية شائقة قدموا له خلالَها بعض الهدايا كما أُلقيت عدة خطب جاؤوا فيها على ذكر ما قام به خلال تواجده في ملبار، وفي تَموز من عام ١٩٤٦ وصل إلى العراق، وقد كرّمته رعية البصرة الفتية وأقاموا له سهرية روحية طلبوا منه أن يُحدثَهم خلالَها عن السريان في الهند ففعل، وفي الموصل وبعد أن زار أهله في برطلي واستراح بعض الوقت في دير مار متى، عيّنه سلفه أستاذاً ومرشداً روحياً للمدرسة الأكليريكية الإفرامية بالموصل

وكنت واحداً من طلابها في ذلك العهد، كما أسندت إليه في هذه الفترة (أربع سنوات) مُهمة تدريس العلوم الدينية لطلاب وطالبات السريان في المدارس المتوسطة والثانوية الرسمية، كما كان يتناوب مع زميله الربان بولس بَهنام مدير الأكليريكية على كنائس الموصل للإحتفال بالقداديس والوعظ والإرشاد والرد على تعاليم الشيَع الغريبة، وذلك بتفويض من راعيها مار اثناسيوس توما قصير، فضلاً عن البحوث التاريخية التي كان ينشرها في مَجلة المشرق ولسان المشرق الموصلية التي كان يُحررها الربان بولس بَهنام وفي ١٣/ ١٢/ ١٩٤٧ صدرت إرادة ملكية بتعيينه عضواً في المحكمة الكنسية مع الربان بَهنام ومَجموعة من كهنة الموصل ودير مار متى.

وفي صيف ١٩٥٠ شغر كرسي أبرشية بيروت ودمشق ففكر البطريرك افرام بتعيين الراهب عبد الأحد توما نائباً بطريركياً ريثما تنتخب الأبرشية مطراناً لَها وبعد ثلاثة أشهر من هذا التعيين انتخبته هذه الأبرشية مطراناً لَها فرسمه سلفه في

١٧/ ١٢/ ١٩٥٠ في كاتـــدرائية أم الزنـــار بِحمص وسَماه
سويريوس يعقوب، ورسم معه مـــار ديونيسيوس جرجس قس
بَهنـــام مطـــراناً لِحلب، وكان يعـــاونه في الرسامة المطـــران
فيلكسينوس يوحنا دولباني مطران ماردين. وكانت الآية الذهبية
التي ذكرها المطران الجديد في موعظته بعد الرسامة "ولا يأخذ
أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله" (عب ٥ : ٤) وفي
اليوم الثاني والعشرين من كانون الأول دخل نيافته مدينة بيروت
في احتفال كبير شارك فيه جَمع غفير من مُختلف الطوائف، وفي
كاتدرائية مار بطرس وبولس في المصيطبة ألقى موعظة استهلها
بالآية الكريِمة : "أنا هو الراعي الصالِح والراعي الصالِح يبذل
نفسه لأجل خرافه" (يو ١٠).

كان رحِمه الله قصير القـــامة له كرش إلاّ أنه كان كتلة من
النشـــاط، قام بالتعـــاون مع مؤسسات الأبرشية وهيئاتِها بعدة
مشاريع أهَمها بناء ثانوية من أربعة طوابق بلصق الكاتدرائية التي
كانت جَمعية النجمة الخيرية قد ابتاعت أرضها، ووضع حجر

أساسها الرئيس كميل شَمعون في ٢٣ حزيران سنة ١٩٥٦، كما بنى كنيسة مار جرجس بدمشق - باب توما مع مطرانية من ثلاثة طوابق، وكنيسة مار افرام في طرابلس في حي الميناء ومطرانية في بيروت، ومطرانية في زحلة مع شراء أرض تَمهيداً لبناء كنيسة، كما أنشأ ميتماً بإسم مار افرام في المصيطبة وأقام الربان متى شَمعون (المطران بعدئذٍ) مديرا له ما لبث أن نقله إلى قرية العطشانة - قرب بكفيا، والواقع بأن المطران متى هو صاحب الفضل في إدارة هذا الميتم وشراء أراضيه في الجبل وإنشاء أبنيته العديدة بعد نقله إلى قرية العطشانة، يضاف إلى ذلك الأبنية العائدة لدار العجزة، لغاية اليوم.

هذا وكان رحِمه الله قد شارك في رسامة كاثوليكوس الأرمن الأرثوذكس زارح الأول في انطلياس عام ١٩٥٦ وذلك بتفويض رسمي من سلفه.

وبعد أن شغر الكرسي الرسولي الإنطاكي برقاد المطوّب الذكر مار اغناطيوس افرام الأول برصوم، وعملاً بالأصول

القانونية المتبعة، وجّه نيافة القائمقام البطريركي مار اوسطاثيوس قرياقس مطران الجزيرة والفرات دعوة إلى جَميع مطارنة الكرسي الإنطاكي في أنحاء العالَم دعاهُم فيها للحضور إلى المقر البطريركي في حُمص لدراسة وتنظيم شؤون الكنيسة عامةً وانتخاب خلف للبطريرك الراحل وذلك في أوائل تشرين الأول عام ١٩٥٧ .

وفي الموعد المْحدد اجتمع في دار البطريركية أصحاب النيافة مار طيمثاوس يعقوب مطران دير مار متى، ومار اثناسيوس يشوع مطران أميركا وكندا، ومار فيلكسينوس يوحنا دولباني مطران ماردين وتوابعها ومار سويريوس يعقوب مطران بيروت ودمشق وتوابعها، ومار ديونيسيوس جرجس مطران حلب، ومار قليميس ابراهيم مطران الكناعنة الْهنود، ومار غريغوريوس بولس بَهنام مطران الموصل وتوابعها، ومار ايوانيس افريم أسقف طور عبدين، ومار ملاطيوس برنابا مطران القلاية البطريركية، والربان بولس جلف النائب البطريركي في الْمملكة

الأردنية الْهاشِمية وابتدأوا بدراسة أمور الكنيسة من جَميع نواحيها ورتّبوا لَها أنظمة وقوانين بلغت ١٤٧ مادة، وعيّنوا يوم الإثنين الموافق ١٤ تشرين الأول ١٩٥٧ موعداً لإنتخاب البطريرك الجديد .

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم المذكور اجتمع الآباء في كاتدرائية السيدة العذراء أم الزنار في حُمص، وبعد أداء الصلاة انتخبوا في الجولة الأولى نيافة القائِمقام مار اوسطاثيوس قرياقس تنورجي بطريركاً إلاّ أنه اعتذر عن عدم قبول المنصب الكبير، فأعاد الآباء الإنتخاب فوقع الإختيار على مار سويريوس يعقوب، فتقرّر يوم الأحد المصادف في ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٧ موعداً لتنصيب البطريرك الجديد، وفي الموعد الْمحدد ضاقت حُمص وكنيسة أم الزنار بالمؤمنين الوافدين من سوريا والبلدان الْمجاورة، واحتفل الآباء بالقداس الإلَهي وبتنصيب البطريرك الجديد في جو مهيب تَجلى فيه جلال الطقس السرياني، وسلّم الآباء عكاز الرئاسة للجالس الجديد على

الكرسي الرســـولي الإنطاكي، وتلقى البطريرك الجديد التهاني والتمنيات.

وكان في مقدمة المهنّئين رئيس الجمهورية السورية شكري القوتـــلي ورئـــيس وزرائه صبري العسلي، ورئيس الجمهورية اللبنانية كميل نِمر شَمعون ورئيس وزرائه سامي الصلح وجَميع رؤساء الطوائف المسيحية والإسلامية، ولدى زيارة البطـــريرك الجديد للعـــاصمة السورية دمشق منحهُ رئيس الجمهورية وسام الإستحقاق السوري وفي بيروت منحه رئيس الجمهورية وسام الإستحقاق اللبناني من درجة الوشاح الأكبر، وبعد هذا بأسابيع استعد البطـــريرك يعقوب الثالث للسفر إلى أميركا الجنوبية في صيف ١٩٥٨ لتفقّـــد أوضاع الْجالية السريانية في تلك الديار البعيدة، فاستقبل بِحفاوة من الرسْميين والمؤمنين السريان وعاد في ١١ آب ١٩٥٨ إلى مقرّه بالسلامة. وتَجد في الكتاب الذي أصدره عام ١٩٥٨ بعنوان "المرقـــاة في أعمال راعي الرعاة" بقلم سكرتيره في ذلك الحين الربان زكى عيواص تفاصيل تلك

الزيارة التاريخية .*

قديمـــاً قيـــل " لكل حصان كبوة ". في مراجعة لِحياة البطريرك يعقوب الثالث نلاحظ بأنه كانت لِحصانه نَجاحات كما كانت له كبوات، فمِن نَجاحاته تشـــييده لِمجموعة من الأبنية في بـــيروت دعَمت الأوقـــاف في الكنيسة وزادت من مواردها . يضاف إلى ذلك تشجيعه للحـــركة المســـكونية في الكنيسة الْجامعة وتَجاوبه معها، ومقـــابلته للبطريرك المسكوني اثيناغوراس والبابا بولس الســـادس وسواهُما وحضـــوره عدة لقاءات كانت كلها تصب في الْخانة المسكونية. أما الكبـــوات فأولَها قبـــوله لِخصوم انطاكية في الْهند بِمنشـــور عام ١٩٥٨ وبدون إجراء الرسامات الضرورية وتصحيح ما قام به عمسيح الثاني وربطهم بشروط، فكان أن تشكك جانب البطريرك وبدأ

---

* كما سجّل ز.رة البطريرك يعقوب في الستينات لمصر والأردن والولايات المتحدة وكندا وطبعه في كتاب دعاه " المشكاة في زيارة راعي الرعاة " طبعه في دمشق عام ١٩٦٠ وذلك لكي يطلع أبناء شعبنا على أحوال السريان في تلك الديار .

بعضهم بالإلتحاق بالكتلكة وتلك كانت الخسارة الكبرى بـــل غلطة الشاطر وكنت في الْهند في تلك الفترة العصيبـــة، وعندما أحسّ بفداحة ما فعل كان ما كُتب قد كُتب، فأقدم على إعادة حـــرمانهم في مَجمع عام عقـــده عام ١٩٧٥. وتفاصيل ذلك تَجده في كتابي " من مذكرات المطران قـــورو ". أما الكبـــوة الثانية فكانت إقـــدامه على رســـامة شـــاب خليع من الطائفة الآشورية اسمه شليطا زيا مطراناً في ٢٣/ ١١/ ١٩٥٨ في بيروت وسماه طيمثاوس بعدما ادعى أفراد من أقاربه بأن لهم رغبـــة في الإنضمام إلى كنيستنا وأنهم بضعة آلاف في العراق، وتبيّن فيما بعد بأن شليطا شبه أمي هزيل في أخلاقه ليس له من الســـريانية سوى الزي الذي اختلســـه منا وأنه لم يتمكّن من الإلتحـــاق بعشيرته التي رفضته لأن ابن عمّه هو الذي رسمته طائفته مطراناً عليهم قبلهُ، وهرب شليطا أولاً إلى أميركا، وجاءني إلى بيروت بعد ســـنوات فقبلته لبضعة أسابيع، تلفنت خلالَها فتاة أميركية تســـأل عنه قائلة " اليوم هو عيد ميلاد ابنته! " ثُم تـــركني إلى

سد البوشرية فطرده بعد أيام الأمن العام اللبناني من لبنان لسبب لم نعرفه فلجأ مرة أخرى إلى البطريركية وظلّ عاطلاً عن العمل ويشكل عبئاً ثقيلاً علينا حتى هرب أخيراً إلى أوربا، يرتدي زيّنا عندما يراجع بعض الدوائر الدينية وسواها لِجمع المال، فطلب مَجمعنا مرات النظـر في أمره فكان البطـريرك يعقوب ينرفز ويرفض بت أمره، إلى أن عـزله مَجمعنا المقـدّس عام ١٩٨١ برئاسة البطريرك زكا وتَخلّصت الكنيسة منه .

أما الكبوة الثالثة فكانت فشله في تسيير شؤون الأكليريكية، فإنه في أيامه ليس فقط لَم يتخرّج أحد وإنّما طفش الرهبان الذين كانوا موجودين مثل يعقـوب كركي ومتى صليوا ويعقـوب جرجس وسواهُم الذين تركوا الرهبنة وتزوجوا، حتى بزغ فجر البطريرك زكا الذي ما أن ننظر إليـه وهو يتوسّط الصورة التي تَجمعـه بالرهبـان وبِخريجي وطلاب الأكليريكية في معرّة صيدنايا حتى نكتشف مدى الرقي والنجاح الذي وصل إليه هذا المعهد الهام، بفضل حكمة البطريرك زكا وبُعد نظره وإشـرافه

المباشر على سير الأمور فيه متّخذين من سيرته المثل الأعلى لَهم أطال الرب بقاءهُ منارة لكنيستنا الْمجيدة .

كان البطــريرك يعقوب خطيباً مفــوّهاً، يُعد مواعظــه وخطاباته إعداداً جيداً، فكان يكتبها ويَحفظها جُملة فجملة، إذ كانت لــه حافظــة قوية مثل الكمبيوتر وقد اعتاد على هذا الأسلوب، لذا كان يتحاشى الإرتِجال لأنه لَم يعتد عليه، وهذا نَموذج لأحد خطاباته وهو ما ألقاه في حفــلة تدشين ثانوية مار سويريوس في ٢٨/ ٩/ ١٩٥٧ بِحضور فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية كميل نِمر شَمعون :

” عطف جليل وعاطفة نبــيلة يســجّلهما لكم التاريخ يا صاحب الفخامة في أنصع صفحاته بأحرف من نور لتشجيعكم إيانا على المضي في سبيل الوصول إلى الأهداف الســامية، وكم سَجّل التاريخ لكم مبرات وأعمالاً إنســانية مثلى شــأيتم بِها فأضحت أنشودة خالدة في فم الحياة، وقد قدّرت فيكم البــلاد الجرأة والتفاني والإخلاص بِما أبديتموه من جهود جبارة حفاظاً

لكيان لبنان و كرامته ومجده وعزّته كي يبقى دوماً سيداً حـــراً طليقاً وموئلاً للملهوف، فأشكركم على هذه البادرة الطيبـــة والروح المثالية العالية المتغلغلة في شـــــخصكم الكريم. لا زال نَجمكم لامعاً متألقاً.

للإنسان مذ فطر أهداف عظام وآمال جســـام وطموح إلى العلى لإحـــتلال مركزه على عرش الكرامة والزعامة فضلاً عن رسالة سامية حباه الله بها لِخدمة بني جلدته، ولعلّ خير رســـالة للإنسان إلى الإنسانية هي المدرسة، فّهي تُفجّر المواهب وتَخلق المؤهلات وتبني الشخصية وتنمّي الثقة بـــالنفس، كيف لا وهي مصنع عجيب يَخلق رجالاً ونســـاءً أكفيـــاء يتفانون في سبيل تعزيز أمتهم ووطنهم.

وإذ كنا نَحمل على عاتقنـــا هذه الرسالة السامية وكانت نفوســـنا ولْهى لبلوغ طريق المجـــد أنشأنا هذا المعهد الذي وضعتم فخامتكم حجره الأساسي في العام المنصرم وقمنا بِهذا المجهود الضخم الذي وجدنا فيه لذتنا القصوى، وهو جزء من

مشروعنا الكبير، وذلك تسديداً لِخطوات الفتوة إلى ذرى المثل العليا وتَحقيقاً لأهداف إنسانية شاملة فضلاً عن المســاهمة في مُحاربة الجهل ونشر العلم والثقافة في لبنان، هذا البــلد العزيز مشعل العبقرية والنبوغ ومنبت الرجال الذي تتفجّر فيه ينابيــع الذكاء الأدبي والمخيّلات الخصبة الخلاقة .

لا شك في أن عملاً كهذا ليس من الهنات الهيّنات بــالنظر لِملة قليلة العدد والعدد في لبنان، أجل وقد برهنت هذه الطبقــة الكادحة على أنه بــإمكانِها أن تعمل إذا ما صَمّمت وأن تعمل أعمالاً جبارة نسجاً على منوال السلف الصالِح.

وكلكم تعلمون ما للأمة السريانية من تاريخ مَجيد حــافل بالآثار الخالدة والمآثر الغراء، فقــد انصرفت هِمتها الشَمّاء إلى افتتاح معاقل العلوم والأخذ بأسباب العمران على أنواعه ذاهبة في هذا المضمار أشواطاً بعيدة، وقد ذكر لنا الدكتور فيليب حتي في تاريخ سوريا خَمسين مدرســة عالية الشهرة أنجبت للعالَم علماء أعلام تثنى بِهم الأصابع وتعقد عليهم الخناصر تَميزوا في

العــلوم وخاضوا غمار الفلســفة فأجادوا وأفادوا، كما رقي بعضهم سلم العلم في سائر درجاته، وآثارهم الباقية في الثقــافة العالمية خير برهان على ذلك، فضــلاً عما نقــلوه إلى السريانية فالعربية من العلوم التي صادفت أذاناً صاغية وقلوباً واعية.

ولنا ملء الأمل بأن هذا المعهد سيواصل تلك الرسالة الجليلة مهتماً بتغذية النفس في الأخلاق الْحميدة وبتقوية العقل اهتمامه بتنمية العضل، وسيعتز هذا الجبل الأشم ويهتز تيهاً ودلالاً حين يشعر بأن لغته السريانية الأولى قد بعثت حية ريانة. عاش لبنان وعاش الرئيس الجليل".

أن لغة البطريرك يعقوب السريانية وهي لغة الأم عنده قوية ومتينة إلاّ أن نثره أقوى من شعره، وديوانه الذي طبــعته له في حلب عام ١٩٥٩ ينطوي على ســبع وثلاثين قصيــدة وكلها مقفــاة وموزعة على أربعــة أبواب هي : الأدعية والنصائح، المدائح، التهاني، والمراثي. فيها الجيّد وفيها أيضاً ما كبلته القافية فغلب عليه التكلّف.

وفي ما يلي منشــور من مجموعة المناشــير التي وزعها على العالَم السرياني ويتحدّث فيه عن عجيبة ظهور طيف الســيدة العذراء في كنيستنا في بيروت - المصيطبة في ربيع عام ١٩٧٠ .

نُهدي البركة الرسولية والأدعية الخيرية إلى أخوتنا الأحباء صاحب الغبطة جاثليق المشرق وأصحاب النيافة المطارنة الجزيل وقارهم، وحضرات أبنائنا الروحيين نواب الأبرشيات والخوارنة والرهبان والقسوس والشمامسة الموقرين، ولفيف أفراد شعبــنا السرياني الأرثوذكسي المكرّمين شَملتهم العناية الربانية بشفاعة السيدة العذراء والدة الإلـــه وسائر الشهداء والقديسين آمين .

بعد تفقّد خواطركم العزيزة نقول: يُسعدنا أيها الأحباء أن نزفّ إليكم بِمنشورنا هذا الرســولي، بشــرى تُثلج الصدور وتشـــرح الخواطر، ألا وهي بشرى ظهور طيف سيدتنا العذراء مريَم والدة الإلـــــه وهي تعانق صليب قبة كنيستنا مار بطرس ومار بولس في المصيطبة - بيروت. ففي العاشر من نيسان ســـنة ١٩٧٠ حَمل إلينا هذه البشرى هاتفياً نيافة أخينا مار اثناسيوس

افرام مطران لبنان الجزيل الإحترام قـــائلاً : إن هذه الأعجوبـــة بـــدأت في الثامن من هذا الشـــهر. ثُم تكرّر هذا الظهور مرات عديدة، ما حدا نيافته أن يظهر في مساء السادس عشـــر منه هو نفسه على شاشة التلفزيون ليشرح بلياقة كيفية هذه الظهورات العجيبة التي عاينها هو نفسه مع أكليروسه الموقر. كما عقد لِهذا الغرض بالذات مؤتَمراً صحافياً ردّ فيه على أسئلة الصحـــافيين حـــول هذا الأمر الخطير، ورفع إلينا في ٧/ ٧/ ١٩٧٠ تقـــريراً تضمن شهادته وشهادة نفر ممن شاهدوا هذه الظاهرة المدهشة. وإذ تناقلت أخبارها وسائل الإعلام اللبنانية من إذاعة وتلفزيون وصحافة، فضلاً عن ألوف الناس من مسيحـــيين ومســـلمين، عاينوها بأم عينهم، توجّهنا بنفسنا إلى بـــيروت في الثاني من أيار للتأكّد من حقيقة الأمر، فمُثل بـــين يدينا كثيرون معظمهم من أبناء الطوائف المسيحية الشقيقـــة اعتادوا أن يســـهروا يومياً في الكنيسة بالتراتيل الروحية، وأكّدوا لنا صحّة الخبر، بينهم أستاذ قبطي قال أنه عاين العذراء القديسة ثماني مرات، تَماماً كما سبق

فعاينها في القـــاهرة منذ ســـنتين و شَفَتهُ آنذاك من مرض عضال عجز عنه نطس الأطبـــاء. ثُم اطّلعنا على السجل الخاص الذي أعدّه لِهذه الغاية نيـــافة مار اثناسيوس افرام، والذي سجل فيه عدد وافر من الذين عاينوا الأعجوبـــة، شـــهاداتِهم بقـــلمهم وبتواقيعهم. وفي ليلتي ٤ و ٨ أيار عاينها بين مئات من الساهرين في الكنيسة نائبنا في دمشق وسكرتيرنا واثنان آخران من رهبان البطريركية، ووصفوا هذين الظهورين وصفاً شيقاً، إذ اســـتمر الأول ساعة كاملة على فترات متقطعة، والثاني ثلاثين دقيقـــة. وهكذا منذ الثامن من نيســـان حـــتى يومنا هذا لا يزال يتجدّد ظهور طيف العذراء، في حين أن عشرات الألوف من مسلمين ومسيحيين، مواطنين وأجانب، يزحفون كل يوم إلى المصيطبة لِمشاهدة المعجزة الباهرة .

أما ظهور الطيف فكان في أوقات مختلفة ولا سيما في الليل. وأما كيفية ظهوره، فبأشكال وأوضاع مُختلفة تبهر الأبـــصار، يسبقه غالباً ظهور نور خاطف يشبه البرق. فقد ظهر تارة شبـــه

غمامة منيرة يُحيط بِها سحاب مضيء أو بَخور، وطوراً بشكل فتاة تنبثق من وسط النور الوهاج وعلى رأسها تاج، وبثوب فضفاض لونه أزرق أو أبيض فضي، يلفها من وسطها خيط من الضوء الشديد اللمعان وكأنه زنار ماسي سُلطت عليه أشعة قوية. وتبدو باسطة يديها إلى الأمام أو راكعة عند قدمي صليب القبة أو معانقة إياه أو دائرة حوله أو ضامة يديها إلى صدرها ومنحنية انحناءة صغيرة إلى الأمام. وقد وصف أحد الصحافيين المسلمين هذا النور في الثامن من أيار بقوله: بدأ الظهور العظيم الذي رأيته بعيني مع الكثيرين طوال ثلاثين دقيقة من الزمن. قبة الكنيسة اكتست بنور عجيب، كان منبعثاً من الحجر الذي صنعت منه القبة، ومن جَميع الجهات، لا من جهة واحدة. ولَم يكن هذا النور بِحال من الأحوال كالنور الذي يُسلّط على شيء ما فيبدو هذا الشيء مضاءً بفعله، بل كان نوراً منبعثاً، نوراً يَخرج من القبة ونوراً لا يضيء إلاّ نفسه.. ولا يضيء سوى القبة. فكان طوال النصف الساعة التي ظهرت خلالَها العذراء بلا

ضوء إطلاقاً، على رغم التصاقه بِها. كان المشهد رائعاً.. بل هو أروع المشاهد التي يُمكن للعين، للعين المؤمنة أن تراها خصوصاً أن النور كان لفترات متقطعة يتضاءل قليلاً ثُمّ يقوى ويشتد.

وأما عن شعور المؤمنين بِهذا الحدث الغريب، فَحدّث ولا حرج! فقد قابلوه بِهتافات وزغاريد وقرع الأجراس وأزيز رصاص الإبتهاج الذي عمّ المنطقة، وبكاء من شدة الفرح، مرددين الأدعية والصلوات بقلوب خاشعة مؤمنة وصارخين: سبحانك يا رب، إنّها العذراء بإشراقتها وقدسيتها وجلالها. وقد حظي بعضهم ببركة العذراء فنالوا الشفاء من أمراضهم.

ونحن حيال هذه الشهادات الثابتة الصارخة، لا يسعنا إلاّ أن نحني الْهامة أمام هذه المعجزة الباهرة، مؤمنين بأن الله تبارك اسْمه شاء أن يتفقّد بِها بيعته في هذه الأيام العصيبة، طمأنة لليائسين وتَهدئة لروع ذوي القلوب الواجفة. ولا نرتاب أو نستغرب البتة هذا الظهور العجيب. ذلك أن الكنيسة تعتقد بأن العذراء قد انتقلت نفساً وجسداً إلى السَماء بعد وفاتِها بثلاثة أيام، لتقف

بالْمجد عن يَمين ابنها الإله المتجسّد كنبوة داود. ولذلك أيضاً تعتقد بأنَها حية تشعر بِما يَحدث في العالَم وتشفع دوماً لدى ابنها في البشرية البائسة لينجيها من تَجارب إبليس والعالَم. قال ملفاننا مار يعقوب السروجي وهو يصفها: " مَن هذه العذراء الماثلة عبر الدهور والأجيال، ولا تفسح للظلام أن يسود على الكون؟ هي مريَم التي صُوَر النهار على وجهها، فمتى نطقت أشرقت الشمس من بين شفتيها " .

فإذا كان موسى وإيليا قد ظهرا بِمجد على جبل تابور كما يُخبرنا الكتاب، فكم بالحري والدة الإله مريَم؟ أجل! لقد ظهرت في الموصل في كنيسة الطاهرة الخارجية مرات عديدة أشهرها يوم كسرت جيوش طهماسب الفارسي منذ نيف ومئتي سنة. وظهرت في كنيسة أم الزنار بِحُمص مرات أشهرها سنة ١٨٦٠ فنجا بواسطتها أهل حُمص من كارثة مُحتمة. وسنة ١٩٠٣ فشُفُوا بواسطتها من وباء الكوليرا. وظهرت منذ بضع سنوات في كنيستنا بالمالكية - سورية حيث نبع زيت في أعقاب

ذلك ولا يزال كذلك حتى اليوم. وظهرت سنة ١٩٦٨ في القاهرة بكنيسة الأقباط الأرثوذكس في مَحلة الزيتون حيث جرت أشفية كثيرة ومعجزات. وها هي ذي تظهر اليوم فوق قبة كنيستنا في بيروت لتعطي برهاناً على عطفها على بني البشرية.

ونحن إذ نُثبت حقيقة هذا الأمر بسلطاننا الرسولي، نسأل الله أن يباركم ويَحفظكم من الكوارث ويشمل العالَم بالسلام المنشود بشفاعة العذراء والدة الإله مريَم، آمين.

صدر عن قلايتنا البطريركية

في دمشق في الأول من شهر آب سنة ١٩٧٠

وهي السنة الثالثة عشر لبطريركيتنا

توفي البطريرك يعقوب الثالث في دمشق يوم ٢٥/ ٦/ ١٩٨٠ ودفن في كنيسة مار جرجس رحِمه الله.

٦ - البطريرك زكا الأول عيواص (١٩٨٠ - ...)

البطريرك زكّا الأول عيواص
١٩٨٠ - ...

في تشرين الأول من عام ١٩٤٦ التحق الطالب السوري افرام بولس برصوم بالأكليريكية الإفرامية بالموصل حيث كان يدرس العديد من الطلاب السريان من مُختلف مناطق الشرق الأوسط وكانت موضع رعاية المواصلة المؤمنين والكرماء، فازدهرت وتقدّمت وأعطت أشهى الثمار، وكان بين الطلاب المواصلة الطالب سنحاريب "دعي زكى" بشير عيواص وهو فوق العاشرة من عمره، ذكي الفؤاد نبيهاً، وكان قد فقد تواً أبويه في بيروت فكان حزيناً جداً في حينه، وهذا أمر طبيعي بالنسبة إلى من كان بعمره عنده مشاعر رقيقة فكانت تنحدر

---

* لمزيد من المعلومات راجعوا كتاب "نور وعطاء" لنيافة المطران حنا ابراهيم مطران حلب طبع عام ١٩٨١ وكتاب "شمعة السريان" لنيافة المطران اسحق ساكا طبع في بغداد عام ١٩٨٤ .

الدمـــوع على خـــديه لأي سبب، ولاحظت بان أحـــاسيسنا ومشاعرنا متشابِهة وكذا تفكيرنا الذي كان قد نضج قبل أوانه، وكنا نُشاهد مع بعض في أكثر الأوقات ندرس ونراجع ونَمشي ونفكّر معاً في اتزان كلي، وكانت العادة عند زكا أن يصلـــي صلوات منتصف الليل كما علِمت في ما بـــعد، فكان يترل من سريره في الْمهجع الذي كان ينام فيه حـــوالي عشـــرة طلاب ويركع، باسطاً يديه إلى الســـماء، وذات يوم لاحـــظت بـــأنه مضطرب بعض الشيء وإذ سألته عن السبب قال : سأكشـــف لك ســـراً، ولأنه كان يَجدني جدياً دائماً، قـــال : الليلة الماضية وبينما كنت كالعادة أصلي في منتصف الليل لاحـــظت بـــأن سقف المهجع زال كلياً ورأيت السماء الصافية بنجومها أمامي، فبقيت عيناي مسمّرتين بالسماء حتى انتهيت من صلاتي وعدت إلى سريري .

هذه الحادثة ظلّت عالقة في ذهني حتى يومنا هذا، وكنت في حينه قد قلت لنفسي: سيكون لِهذا الفتى شأن ما في الكنيســـة.

ويوم اختاره الرب بطريركاً بإجْماع أصوات الأحبار عام ١٩٨٠ وخرج من الكنيسة بزياح كبير، وفي صالون البطريركية ترك كل شيء وجاء وجلس إلى جانبي، فبادرته بالقول : هل تذكر ما حدث لك وأنت صغير في الأكليريكية عندما انفتحت السماء أمامك وأنت تصلي في منتصف الليل؟ ها قد تمّ ذلك اليوم. فأعجبته الملاحظة وقال بفرح : أما زلت تذكر ذلك؟ فأجبت وكيف أنساه، أخذ الرب بيدك وملأ جعبتك الروحية بالوزنات الرابحات .

وفعلاً ملأ الرب جعبة البطريرك زكا بالوزنات الرابِحة، لأنه منذ نعومة أظفاره تاجر بِها بوعي وهمة عالية ولَم يطمرها، وها هي الكنيسة تَجني ثِمارها في جَميع الميادين الروحية والعمرانية والثقافية أطال الرب بقاءه .

ولد في مدينة الموصل في ٢١ نيسان ١٩٣٣ وكان والده بشير عيواص خريج المعهد العالي لمهنة النجارة في استامبول، وكان معمله الأول من نوعه في مدينة الموصل، إلاّ أنه نُكب

بإحتراقــه فأثّرت هذه المأساة في حياة رب العائلة الذي أحب مهنته وعائلته وحزن لذلك حزناً شـــديداً، والحزن أورثه مرضاً قاده إلى بيروت للمعالجة في الجامعة الأميركية، إلاّ أنه لَم يعد إلى عائلته، ودفن في مقبرتنا في بيروت، ولَحقت بــه الزوجة الوفية حسيبة عطو بســرعة ودفنت هي الأخرى إلى جانب زوجها، وقداسته يتفقّد هذه المقــبرة بــين الحين والآخر حــيث يصلي بصمت وخشوع ذاكراً جَميع الراقــدين هناك ومنهم والدي ووالد نيافة المطران جورج صليبا رحِمهم الله .

نَما سنحاريب في النعمة والقــامة تَماماً مثل يســوع في الناصرة ورضع حليباً نقياً في ظلال أسرة مؤمنة وتعلّم في مدرسة التهذيب الأولية في الموصل وأكمل دروسه الإبتدائية في مدرسة مار توما، ومالت روحه إلى الحياة الروحية، وكانت الأكليريكية الإفرامية قد انتقلت تواً من زحلة إلى الموصل، فأبدى رغبــته في الإنتماء إليها فشجّعته الأسرة المؤمنة على ذلك. وكان ذلك عام ١٩٤٦ واتخذ له اسم " زكا " .

لن أبالغ إذا قلت بأن الطالب زكا كان شُغل المدرسة الشاغل بسرعة خاطره وخفّة ظلّه وذكائه الفطري فكان لولب المدرسة مع جَميع الطلاب، فمن كان من عمره صاحبه، ومن كان فوق عمره مازحه أحياناً بِحشمة، فإذا مدّ الكبير إليه يده بِهدوء في مُحاولة لِجعله يتحدّث، جَمع يديه إلى صدره ولوى عنقه وقال بصوت خفيض: في سبيل المسيح. وكأنه يصنّف خصمه وثنياً يضطهد نصرانياً مظلوماً فيثور أكثر فأكثر وتحبك النكتة. كان يفعل كل شيء بذكاء وأدب ويَخلق في المدرسة جواً لطيفاً أحبه جَميع الطلاب من جَميع الأعمار أما في الصف فكان مبرّزاً في ما عدا مادة الإنكليزي التي أثبت بأنه يستطيع أن يتقنها لأنه تعلّمها فيما بعد في إحدى كليات نيويورك لمدة سنتين وأجادها، ذلك لأن أستاذنا وقتها كان الراهب عبد الأحد (البطريرك يعقوب بعدئذ) الذي لوحظ بأنه كان يتعمّد إيذاء الطالب زكا وإذلاله حتى يَجعله يبكي، إذن كان سادياً، وتبيّن بأنه كذلك مع الآخرين أيضاً، كان يَجد لذة في إيذاء

الآخرين في جَميع مراحل حياته. ونظم زكا الأشعار السريانية وهو فتى وكانت أشعاره تتميّز بالرقة والعاطفة الجيّاشة بخلاف بعض رفاقه من الذين نظموا أشعاراً جاءت باردة. وتخرّج زكا بتفوّق وتعيّن استاذاً في الأكليريكية، وكالعادة علّم بـإخلاص وتفانٍ، ورسم مع صديقه الشماس صليبا شَمعون (مطران الموصل اليوم) راهباً في يوم واحد في ٦ حزيران ١٩٥٤ بيد معلمنا ومديرنا المطران بولس بَهنام عطّر الرب ترابه. وبعد سنة استدعاه البطريرك افرام برصوم لينضم إلى الحاشية البطريركية وكنت قد سبقته إليها، وكانت تلك السنوات من سنواتنا الحلوة، وفي كانون الثاني عام ١٩٥٥ رسمه المطران جرجس قس بَهنام شماساً إنجيلياً في حلب، وبعد وفاة البطريرك افرام إستبقاه البطريرك يعقوب الثالث قائِماً بأعمال السكرتيرية التي قام بمهامها بِهمّة ونشاط وأمانة ورقّاه إلى درجة الكهنوت المقدّس في تشرين الثاني عام ١٩٥٧ ورافقه في جولاته أولاً إلى أميركا الجنوبية فأميركا الشمالية التي كتب عن أخبارها ونشرها في

كتابين هُما " المرقاة " و " المشكاة " وازدادت خبرته في كيفية التعامل مع الناس. وفي عام ١٩٦٠ وخلال مرافقته لسلفه في زيارته للولايات المتحدة، تَخلّف في نيويورك حيث الحق بكلية اللاهوت الأسقفية العامة لِمدة سنتين فأتقن اللغة الإنكليزية وتعمّق في بعض المواضيع اللاهوتية الهامة، ودخل عالَم الحركات المسكونية وحضر عدة لقاءات في أماكن عديدة من العالم كان أهَمها اجتماعات مَجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٢ بصفة مراقب .

وفي ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٦٣ رقّاه سلفه إلى الكرامة الأسقفية بعدما اختاره المواصلة مطراناً لَهم، فشمّر عن ساعد العمل وبدأ يعمل بِما عهد فيه من إخلاص وتفان في شتى الْمجالات الروحية والعمرانية ويُمكن تلخيص أعماله العمرانية بِما يلي :

١ - ترميم كنيستي مار توما ومار كوركيس الْمجاورة لكنيسة الطاهرة الْخارجية، وخلال العمل في كنيسة مار توما اكتشفت

فيها ذخائر القديس الرسول مار توما .

٢ – تسوير كنيستي مار كوركيس ومارتشموني في قرية قـــره قوش مع إحداث ترميمات عليها .

٣ – تشييد دارين وثمانية دكاكين على أرض الطاهرة الخارجية، وفي عام ١٩٦٦ رقد بـــالرب مطران دير مار متى مار طيمثاوس يعقوب فأوكلت الأبرشية إلى المطران زكا فأجرى تصليحـــات عديدة في الدير، كما بنى مطرانية في برطلي ورمّم كنيســـة مار كوركيس في بعشيقة بالإضافة إلى النهضة الروحية والثقافية .

وفي ١٩ شباط ١٩٦٩ شغرت أبرشية بغداد برقاد مطرانها بولس بَهنام، فنُقلت خدمات المطران زكا إلى بغداد، وكانت قد استقطبت الآلاف من السريان بسبب الظروف غير المستقرة في المنطقة ونَمت بغداد وازدهرت فبدأ المطران الجديد يعمل ويبني الأنفس إلى جانب الأوقـــــــاف، وكانت الندوات والمواعظ والْمحاضرات مستمرة وكذا العمران، إذ شيّد كنيسة مار توما في المنصور وأقام جناحاً جديداً بالمدرسة الإبتدائية ورمّم كنيسة

السيدة العذراء وشيّد كنيسة مار متى على نفقة المرحـوم حَميد نواره ودار المطرانية على نفقة أسرة مَجيد زيونه المباركة .

وفي ٢٥/ ٦/ ١٩٨٠ توفي البطريرك يعقـوب الثالث، فالتأم المجمع المقدّس في ١١/ ٧/ ١٩٨٠ وانتخب المطران زكا بإجْماعِ الآراء بـطريركاً لإنطاكية العظمى، وجرت حـفلة تنصيبه في كاتدرائية مار جرجس بدمشق يوم عيد الصليب من السنة ذاتِها. وفي ما يلي نص المنشور السامي الذي أصدره بعد تنصيبه مباشرة، علماً بأنه أصدر منشوراً مُماثلاً باللغة الإنكليزية موجهاً إلى أبناء الكنيسة في الْهند .

نُهـدي البركة الرسـولية والأدعية إلى أخوتنا الأجلاء صاحب الغبطـة مار باسيليوس بولس الثـاني جاثليق المشرق، وأصحـاب النيافة المطـارنة الجزيل وقارهم وحضرات أبنائنا الروحيـين نواب الأبرشـيات والْخوارنة والرهبان والقسوس والشمامسة الموقرين، ولفيف أفراد شعبنا السرياني الأرثوذكسي المكرمين. شَملتهم العناية الربانية بشفاعة السيدة العذراء مريَم

والدة الإلــه وسائر الشهداء والقديسين . آمين

بعد تفقد خواطركم العزيزة نقول: شاءت العناية الربانية أن ينتخبنــا آباء المجمع الإنطاكي المقدّس بالإجــماع بطريركاً على أنطــاكية وسائر المشرق ورئيساً أعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العــالَم، خلفاً لسلفنا المثلث الرحْمات العلامة البطــريرك مار اغناطيوس يعقوب الثــالث. وكان مَجمــع الإنتخاب هذا قد التأم في دمشق برئاســة صاحــب النيافة مار اســطاثيوس قرياقــس مطران الجزيرة والفرات والقائمقــام البطريركي الجزيل الإحترام الذي دبّر شؤون الكرسي الرسولي في فترة شغوره بإدارة حــكيمة. وحــدّد الْمجمع يوم الجمعة المصادف الحادي عشر من شــهر تَموز ســنة ١٩٨٠ موعداً لإنتخاب البطريرك الجديد وقد اشترك فيه صاحب الغبــطة مار باسيليوس بولس الثاني جاثليق المشرق مُمثلاً الكنيســة في الْهند وصاحب النيافة مار اقليميس ابروهوم مطران أبرشية الكناعنة في الْهند الذي يَحق له بذلك بِموجب قوانين أبرشيته كما اشــترك

البطريرك زكا الأول عيواص بعد تقديسه كنيسة مار افرام في بيروت - الأشرفية،
و يبدو الى جانبه رئيس الجمهورية اللبنانية الياس الهراوي بعدما قلده وشاح الأرز
الأكبر يوم ١٠/١٠/١٩٩٣. ويبدو في الصورة أيضاً المطارنة أفرام برصوم وأوكين قبلان.

في الإنتخاب أصحاب النيافة مطارنة الأبرشــيات الســريانية الخاضعة لكرسينا الرسولي الإنطاكي مباشرة في الوطن والمهجر. وكان عددهم خَمسة عشر مطراناً، وتغيب سيادة مار ايوانيس افريـــــم أسقف طور عبدين لشيخوخته فأرسل صوته بظرف مَختوم. وبعد صلاة دعوة الروح القـــدس واســتلهامه و إرشاده، جرى الإنتخاب بروح الْمحبة والشعور بالمسـ وكانت النتيجة أننا انتُخبنا بالإجْماع لرتبة البطريركيـ فشكرنا الله تعالى على اختياره ضعفنا لتحمل هذه الجسيمة، كما شكرنا صاحب الغبطة الجاثيلق وأصـ المطارنة الأجلاء على وضعهم الثقة بـــضآلتنا، وعاهدنـ التمسّك بالإيــمان المستقيم الرأي، والإلتزام بقوانين الكنيسـ

وفي عيد الصليب المقدّس المصادف يوم الأحـــد الرابـــع عشر من شهر أيلول عام ١٩٨٠ جرت حفلة تنصيبنا بطريركاً على الكرســـي الرســـولي الإنطاكي، وذلك في كاتدرائية مار جرجس في دمشق بِمهرجان روحي اشترك فيه أصحاب الغبطة

والنيــافة جاثليق المشرق واثنان وعشرون من أحبار الكنيسة في الوطن والمهجر والْهند. كما أمّ دمشق الفيحاء آلاف من السريان قادمين من جَميع أنحاء العــالَم ليشهدوا هذه التظاهرة الروحية الكبيرة كما حضــر الحفلة مُمثلون عن صاحب السيادة رئيس الجمهوريــة العربيــة السورية وصــاحب الفخــامة رئيس الجمهوريــة اللبنانيــة ورئيس مجلس الوزراء الســوري وعن الرئاســات الروحية المسيحية العليا الأرثوذكسية والكاثوليكية والأنجيلية والبروتستانتية في العالَم، وعن مجلس الكنائس العالمي، ومجــلس كنــائس الشــرق الأوسط، والمؤسسات المسكونية والعلمية وأعضاء السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي في دمشق، كما حضرها صاحبا الغبطة بطريرك الروم الأرثوذكس وبطريرك الســريان الكاثوليك، ورؤساء الطوائف المسيحية والمطــارنة الجزيلو الوقار ولفيف من الآبــاء الكهنة المكرّمين. وقد تسلّمنا مئــات البرقيات ورسائل التهنئــة من ملوك ورؤساء عديدين ومسؤولين روحيين ومدنيين، ومؤسسات كنسية مُختلفة.

وفي الخطاب الذي ارتَجلناه في هذه المناسبة أعلنا بـأن شعارنا هو ما قاله الرب عن نفسه "أن ابن الإنسان لم يات لِيُخدم بل ليَخدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠ : ٢٨).

أجل لقد تسلّمنا عصا الرئاسة، وجلسنا على كرسي الرسول مار بطرس، بالنعمة لا بالإستحقاق، لنرعى خراف المسيح ونعاجه وكباشه بروح الخدمة التي اتصف بِها الرب وننهض لِخلاص النفوس في هذه الفترة العصيبة من تاريخ الكنيسة، فهجرة عشرات الآلاف من أبنائها قد أضعفها كثيراً وضعضع مركزها في مواطن نشأتِها حيث نَمت وتأصّلت جذورها، وصمدت كالدوحة السامقة عشرين قرناً، ولكن إعصار الهجرة اليوم يَهز أغصانَها بعنف، ويهددها بِخطر قلع جذورها من أرضها الطيبة التي غرست فيها. فلنحذر من الْهجرة التي تضعفنا كشعب وككنيسة وتُهدد كياننا بالتلاشي، ووجودنا بالفناء.

أما أبناؤنا في المهجر فإننا نؤكّد لَهم بأننا سنبذل قصارى

جهدنا لتوفير الجو الروحي لِهؤلاء ولأولادهم ونوصيهم بالتمسّك بعقيدتِهم الدينية ووطنهم الأم، وطقوسهم السريانية المقدّسة، وأن يربوا أولادهم التربية المسيحية الشرقية النقية الصالِحة، متمسكين بتقاليد آبائهم وتراثِهم الثمين.

أجل في هذه المرحلة الجديدة من تاريخ الكنيسة، وفي هذه الفترة الصعبة التي تَمر بِها الكنيسة، علينا أن نعود إلى ينابيع عقيدتنا الروحية وتراثنا الديني وقوانيننا الكنسية، فالعقيدة ثابتة ومبنية على أساس الكتاب المقدّس. وما نَحتاجه الآن هو تقديم كل ذلك بلغة العصر الحديث لإنسان الربع الأخير من القرن العشرين، وطقوسنا الدينية تَحتاج إلى تَهذيب وترتيب، لأنّها فقدت تأثيرها الروحي لِجهل الغالبية العظمى من الكهنة والشعب اللغة السريانية، لغة السيد المسيح المقدّسة ولغة الطقس. فعلينا أن ننهض لإنْمائها ونشرها عن طريق مدارس التربية الدينية التي تدعى أيضاً مدارس الأحد، وفتح الدورات التعليمية للفتيات والفتيان، في كنائسنا في كل مكان، ليتعلّموا

مبادىء الإيمان وأصوله ولغة الطقس الديني.

لا بدع إذا قلنا أن كنيستنا اليوم بأمس الحاجة إلى كهنة مثقفين ثقافة روحية. وأن أديرتنا تكاد تكون خالية من الرهبان والراهبات بعد أن كانت في الماضي السحيق تعج بالعلماء منهم، بل كانت مراكز للعلم والمعرفة تتبعها المدارس الدينية والعلمية، ونحن اليوم نفتقر إلى كادر كهنوتي يكون على مستوى المسؤولية الروحية والإجتماعية، ومعاهدنا الكهنوتية يعوزها الطلبة النابهون. فإلى العائلات السريانية الكريمة نوجّه نداءنا ليهتموا بتربية أولادهم التربية المسيحية الصالحة متعاونين مع الكنيسة في هذا الميدان، كما نَحثهم على انتخاب الأذكياء الصالحين منهم لينضموا إلى تلامذة معهد مار افرام الكهنوتي في العطشانة الذي يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، ليحيا بعد موات، وإلى مدرستَيْ دير الزعفران ودير مار كبريال في تركيا، ومدرسة دير مار متى في العراق التي سنؤسّسها قريباً إن شاء الله. ليتخرّج لنا في هذه المدارس كهنة ورهبان يَخدمون كنيسة الله بروح نكران الذات

والإلتزام بالقوانين الكنسية .

ولا بد أن نذكر في منشورنا الرسولي هذا بأن كنيستنا المقدّسة في الْهند هي الأخرى بِحاجة ماسة إلى كادر كهنوتي جيد يتعمّق بدراسة أصول الإيمان المستقيم الرأي وتاريخ الكنيسة وقوانينها ويرتبط بكرسينا الرسولي بعروة وثقى. وكنيستنا في الْهند هي جزء لا يتجزأ من كنيستنا السريانية الأرثوذكسية الجامعة وكانت في العقد الأول من هذا القرن قد انقسمت إلى فرقتين على أثر تمرّد بعضهم ثُم اتّحد الطرفان سنة /١٩٦٤/ وقبل عشر سنوات دبّ الخلاف ثانية في صفوف الكنيسة هناك. وسنة ١٩٧٥ انفصل قسم كبير من الأكليروس والشعب عن الكرسي الرسولي الإنطاكي، الأمر الذي لَم يُعلن لكم رسمياً في حينه، أما القسم الذي بقي موالياً للكرسي الرسولي، فقد رسم لَهم سلفنا المثلث الرحَمات مار اغناطيوس يعقوب الثالث جاثليقاً وهو الرئيس المكاني الأعلى في الكنيسة في الْهند، وهذا الجاثليق هو غبطة مار باسيليوس بولس الثاني

الذي اشترك في حفلة تنصيبنا يرافقه ثَمانية من مطارنتنا في الْهند كما ذكرنا آنفاً. ولا بدّ أن نوضح هنا ايضاً بأن هؤلاء السادة الأجلاء بالرغم من إجماعهم على الولاء للكرسي الرسولي االإنطاكي فإنّهم بِحاجة ماسة إلى دستور كنسي يُحدد علاقتهم بكرسينا الرسولي وعلاقة بعضهم ببعض ليوفّق بينهم ويلم شعثهم ويَجمع شملهم، وإننا نسعى لوضع هذا الدستور مستندين بذلك إلى قوانين الكنيسة العامة والقوانين الخاصة بالأبرشيات في الْهند، والنظم المتبعة هناك، أجل كان لا بدّ لنا أن نكشف النقاب عن هذه الحقائق المرّة ليعلم الشعب السرياني المبارك صعوبة المهمة الروحية التي ألقيت على عاتقنا وقد تقبّلناها بروح الإِيمان والثقة بالرب الذي وعَد قائلاً: ” تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل “ ونحن واثقون بأننا سنلقى الدعم من أخوتنا أصحاب النيافة المطارنة الأجلاء وأبنائنا الكهنة الموقرين والشمامسة المكرمين والشعب المبارك بكل مؤسساته من الْمجالس الْملية واللجان الإستشارية والْجمعيات الْخيرية

وغيرها. ونناشدهم جَميعاً أكليروساً وشعبـــاً شيبـــاً وكهولا
وشـــباناً نســـاءً ورجـــالاً بأن يسعوا إلى ما فيه خير الكنيسة
وازدهارها وتَمجيد اسم الرب القدوس. ونسأل الرب الإله أن
يبارك آمالنا وأعمالنا، ويَهبنا قوة وحكمة لنرى كنيسته المقدّسة
التي افتداها بدمه الكريـــم، وأن يَحفظـــكم تعـــالى ويوفقكم
ونعمته تشملكم آمين .

صدر عن قلايتنا البطريركية في دمشق
في السابع من شهر تشرين الأول سنة ألف وتسعمائة وثَمانين
وهي السنة الأولى لبطريركيتنا

البطريرك زكا طويل القامة مهيب الطلعة صبوح الوجه يأسر من
يقابله بِمعشره الحلو ووداعته ونبـــله ولطفه وأنفته وأحـــاديثه
الطلية، وبوجوده في هذا المقام الســـامي اتســـع نطاق أعماله
ومسؤلياته وبات ميدانه أرحب وفي جَميعها ينجح ويلمع حفظه
الله وأبقاه .

وقلم البطريرك زكا سيّال ومواعظه بليغة، ١ - وكان قـــد

حبر سلسلة كتاب التهذيب المسيحي بأربعة أجزاء. ٢ - كما كتب عن زيارة سلفه للأميركيتين دعاهُما المرقاة والمشكاة ٣ - وبالإشتراك مع الربان اسحق ساكا (المطران بعدئذٍ) نشر كتاب الأسرار السبعة بِحسب معتقد الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ٤ - سيرة مار افرام السرياني ٥ - عرّب كتاب الحمامة لإبن العبري ٦ - قصة أهل الكهف ٧ - عقيدة التجسّد الإلهي ٨ - الكنيسة السريانية عبر العصور، ومجموعة كتب تنطوي على خطبه ومواعظه، والحبل على الجرار قوّاه الرب وزاد من عطائه، وذلك على الرغم من زياراته المتواصلة للأبرشيات السريانية شرقاً وغرباً، وأعماله العمرانية المعروفة في معرة صيدنايا التي تأخذ الكثير من وقته الغالي .

رسم قداسة البطريرك زكا لغاية اليوم خَمسة وعشرين مطراناً وحوالي السبعين راهباً وراهبة، وهذا جدول بأسْماء المطارنة مع تاريخ رساماتِهم .

الرقم	اسم المرتسم	مكان وتاريخ الرسامة
١	مار ثاوفيلوس جورج صليبا مطران جبل لبنان	كاتدرائية مارجرجس بدمشق ٨ / ٢ / ١٩٨١
٢	مار سويريوس اسحق ساكا النائب البطريركي للدراسات السريانية العليا	كاتدرائية مارجرجس بدمشق ٢٢/ ٢ / ١٩٨١
٣	المثلث الرحْمة مار كريستموس موسى سلامة النائب البطريركي لشؤون الكرازة التبشيرية في البرازيل	كاتدرائية مارجرجس بدمشق ١٥ / ١ / ١٩٨٢
٤	مار سويريوس ابراهام معاوناً لمطران أبرشية أنكمالي - الهند سابقاً	كاتدرائية مارتوما في كوطمنكلم الهند ٦ / ٣ / ١٩٨٢
٥	المثلث الرحمة مار فليكسينوس الياس ملكي جانقيا مطران طور عبدين	كنيسة مار تشموني في مديات ٣٠ / ٥ / ١٩٨٢
٦	مار أسطاثيوس بنيامين يوسف باناكال مطران كنائس الكرسي في الهند	كاتدرائية مار جرجس بدمشق ٧ / ١٠ / ١٩٨٤
٧	مار طيمثاوس صموئيل اقطاش مطران طور عبين	كاتدرائية مار جرجس بدمشق ١٠ / ٢ / ١٩٨٥
٨	مار فليكسينوس يوسف جتين النائب البطريركي في استنبول	كاتدرائية مار جرجس بدمشق ٢٨ / ٩ / ١٩٨٦
٩	مار يوليوس عبد الأحد شابو مطران السويد والدول الأسكندنافية	كاتدرائية مار افرام في سودرتاليا ٣ / ٥ / ١٩٨٧

الرقم	اسم المرتسم	مكان وتاريخ الرسامة
١٠	الأسقف مار إياونيس بولس السوقي النائب البطريركي بدمشق	كاتدرائية مارجرجس بدمشق ١٩٩٠ / ٤ / ١
١١	مار بوليكاربوس أم.بي.جورج مطران جَمعية الشرق التبشيرية	كاتدرائية مارجرجس بدمشق ١٩٩٠ / ٥ / ٢٧
١٢	مار أوسطاثيوس متى روهم مطران الجزيرة والفرات	كاتدرائية مارجرجس بالحسكة ١٩٨٢ / ٧ / ١
١٣	مار ملاطيوس جون راجان مطران أبرشية تريشور في الهند سابق	كاتدرائية مارجرجس بدمشق ١٩٩٠ / ١٢ / ٢٢
١٤	مار اقليميس أوكين قبلان النائب البطريركي في أبرشية غربي الولايات المتحدة الأميركية	كاتدرائية مارجرجس بدمشق ١٩٩١ / ٤ / ١٢
١٥	مار نيقولاوس زكريا مطران أبرشية الولايات المتحدة الأميركية وكندا لأبناء كنيستنا السريان الأرثوذكس الهنود	كاتدرائية مار جرجس بدمشق ١٩٩٣ / ٨ / ١٥
١٦	مار غريغوريوس جوزيف بالاثا مطران كوجين في الهند	كاتدرائية مار جرجس بدمشق ١٩٩٦ / ١ / ١٦
١٧	مار كيرلس افرام كريم النائب البطريركي في شرقي الولايات المتحدة الأميركية	كنيسة السيدة العذراء في القامشلي ١٩٩٦ /٩١ / ٢٨
١٨	مار ديوسقوروس بنيامين أطاش النائب البطريركي في السويد	كاتدرائية مار جرجس بدمشق ١٩٩٦ / ٢ / ١١
١٩	مار سويريوس ملكي مراد النائب البطريركي في القدس والأردن وسائر الديار المقدسة	دير مار افرام السرياني في معرة صيدنايا ١٩٩٦ / ٩ / ١٥

الرقم	اسم المرتسم	مكان وتاريخ الرسامة
٢٠	مار ديونيسيوس عيسى كوربوز النائب البطريركي في ألمانيا	دير مار افرام السرياني في معرة صيدنايا ١٥ / ٩ / ١٩٩٦
٢١	مار يوليوس قرياقس السكرتير البطريركي الأول والنائب البطريركي لشؤون الكنيسة في الهند	دير مار افرام السرياني في معرة صيدنايا ٢٧ / ٩ / ١٩٩٨
٢٢	مار سلوانس بطرس النعمة مطران حُمص وحَماة وتوابعها	كنيسة أم الزنار في حُمص ١٢ / ١٢ / ١٩٩٩
٢٣	مار سويريوس صليبا توما النائب البطريركي في زحلة والبقاع	كاتدرائية مار بطرس وبولس في معرة صيدنايا ١٤ /٥/ ٢٠٠٠
٢٤	مار ايونيس ماتيوس النكيل – الهند	كاتدرائية مار بطرس وبولس في معرة صيدنايا ١٤/ ١/ ٢٠٠١
٢٥	مار كيرلس مرقس دامنجرا – الهند	كاتدرائية مار بطرس وبولس في معرة صيدنايا ١٤/ ١/ ٢٠٠١

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة السريانية	٥
المقدمة العربية	٧
البطريرك عبد المسيح الثاني	١١
البطريرك عبد الله الثاني	٣١
البطريرك الياس الثالث	٤١
البطريرك افرام الأول	٦٥
البطريرك يعقوب الثالث	١٢٣
البطريرك زكا الأول	١٥٣

ܒܝܬ ܟܬܒܐ ܣܘܪܝܝܐ
المكتبة السريانية
حلب ☎ 4645848 ✉ 4194

الكتاب التالي

((الإنجيل كما فسّره السريان))

في أحد مواسم الميلاد كنت أطالع بعض الكتابات الميلادية لمؤلف قبطي كبير أدّعى بأن المجوس زاروا الطفل يسوع في المغارة وقدّموا له الهدايا، بينما التقليد السرياني يقول، بأن المجوس فعلوا ذلك وعمر يسوع سنتان وفي مكان غير المغارة

كما يقول مار افرام:

ܒܝܬܐ ܥܠܘ ܠܐܪܬܐ : ܕܠܒܗ ܕܦܘܩܘܡ : ܡܓܘܫܐ ܩܪܒܘ ܠܗ̇

والخ . . .

وكتبت في حينه إلى المؤلف القبطي عن هذا، وقرّرت إصدار كتاب بعنوان "الإنجيل كما فسّره السريان" يشرح أهم النقاط في الإنجيل المقدّس من منظور سرياني، آمل أن يجد النور قريباً.

بطاركة السريان

في القرن العشرين

ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܣܘܪܝܝܐ ܒܕܪܐ ܕܥܣܪܝܢ

تـأليف

المطران افرام برصوم

بيروت ٢٠٠١